

مذكرة فرق ١
كلية الدعوة وأصول الدين

مقدمة في دراسة الفرق:

المسألة الأولى : مفهوم الافتراق

الافتراق في اللغة: من المفارقة وهي المباينة والمفاصلة والانقطاع، والافتراق أيضاً مأخوذ من الانشعاب والشذوذ ومنه الخروج عن الأصل، والخروج عن الجادة، والخروج عن الجماعة .

الافتراق في الاصطلاح: يطلق على أمور منها:

- ١- التفرق في الدين والاختلاف فيه ومن ذلك قوله تعالى: {وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} ، وقوله: { إِنْ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسَتْ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِيمًا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ } ، ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: ((إنما هلك من كان قبلكم من الأمم باختلافهم في الكتاب)).
- ٢- الافتراق عن جماعة المسلمين وهم عموم أمة الإسلام في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة وهم أهل السنة ومن كان على هديهم بعد ظهور الافتراق فمن خالف سبيلهم في أمر يقتضي الخروج عن أصولهم في الاعتقاد أو الشذوذ عنهم في المناهج أو الخروج على أئمتهم أو استحلال السيف فيهم فهو مفارق، وفيه قوله عليه الصلاة والسلام: ((من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ثم مات ميتة جاهلية ومن قتل تحت راية عمية بغضب للعصبة ويقاوم للعصبة فليس من أمتي ومن خرج من أمتي على أمتي يضرب برها وفاجرها لا يتحاش من مؤمنها ولا يفني بذئ عهدها فليس مني)). فذكر عليه الصلاة والسلام أصنافاً من المعارضين الخارجين:

١- المفارقون للجماعة.

٢- الخارجون عن الطاعة.

٣- الخارجون عن الأمة بالسيف.

٤- المقاتلون تحت راية عمية وهو الأمر الأعمى الذي لا يستبين وجهه، ومنه قتال العصبية، والفتنة، والقوميات، والشعارات، والحزبيات ونحوها.

فالخروج عن أهل السنة والجماعة ولو في أصل واحد من أصول الدين الاعتقادية أو العملية المتعلقة بالقطعيات، أو بمصالح الأمة العظمى أو بهما معاً فإنه يعتبر تفرقاً.

المسألة الثانية: الألفاظ الدالة على معنى الافتراق كثيرة منها:

- ١- (حد): الحد: المنع والفصل بين الشيئين، والحاجز بين الشيئين الذي يمنع اختلاط أحدهما بالآخر، والمحادّة: المعادة والمخالفة والمنازعة، أصلها: أن يكون هذا في حدّ وناحية، والآخر كذلك .
- ٢- (حَصَمَ): الخصومة: المنازعة، يقال: "خاصمته، مخاصمةً، وخصاماً، وخصومة": نازعه، وأصلها: أن يكون كلٌّ منهما في حُصْمٍ (أي: جانبٍ وناحية) .
- ٣- (خَلَفَ): الاختلاف والمخالفة: ضد الاتفاق والموافقة، وهو: أن يأخذ كلٌّ واحداً طريقاً غير طريق الآخر في حاله أو قوله.

- ٤- (خَلَل): "الخلل": التفرّق في الرأي، تشبيهاً بالفرجة الواقعة بين الشيئين، وكأنهم حين تفرق رأبهم وقعت بينهم فُرَجٌ.
- ٥- (زال): أصل معناه: الدلالة على تنحّي الشيء عن مكانه، يُقال: "زال الشيء، زوالاً": فارق طريقه جانحاً عنه
- ٦- (شَتَّ): "الشَّتُّ" التفرّق والتزيّل، يقال: "شَتَّ الشيء": تفرّق، و"شَتَّته": فرّقه، و"قومٌ شَتَّى": فرّقاً من غير قبيلة، و"جاءوا أشتاتاً": متفرّقي النظام، و"جاءوا شتات شتات": متفرّقين.
- ٧- (شَجَرَ): يقال: "شجر بينهم الأمر، شُجُوراً": اختلف أو اختلفوا وتنازعوا فيه، و"الشّجار" و"المشاجرة" و"الشّاجر": المخالفة والمنازعة .
- ٨- (شَدَّ): "الشَّدُّ" و"الشُدُودُ": الانفراد والمفارقة، يقال: "شَدَّ عن القوم، يشُدُّ، ويشُدُّ": انفرد عنهم وفارقهم وخرج عن جماعتهم أو جمهورهم.
- ٩- (صَدَعَ): "الصَّدَعُ": الانفراج في الشيء، يقال: "صدع الأمر": أي فصله، و"تصدّع القوم": تفرّقوا، و"بينهم صدعات في الراي والهوى": تفرّق.
- ١٠- (عَزَلَ): "العَزْلُ": التنحية والإمالة، و"الاعتزال": تجنّب الشيء بالبدن أو بالقلب، يقال: "عزل الشيء، يعزله": نخاه في جانب، و"المعزال": الذي لا ينزل مع القوم في السفر، ولكن ينزل ناحيةً.

المسألة الثالثة: أنواع الافتراق : الافتراق الذي نهى عنه الشرع له أنواع، هي:

- الأول :** مفارقة دين الإسلام الذي أوجب الله على جميع البشر اتباعه، ولا يقبل من أحدٍ سواه، وذلك بعدم الدخول فيه أصلاً ، أو تركه إلى أديان الكفر وملل الباطل. قال تعالى : { كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ } ، تبينها الآية الأخرى: { وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا } .
- وهذا النوع من الافتراق يُحمّد فيه المؤمنون على ثباتهم على الإيمان وعدم وقوعهم في التفرّق، ويُذمّ فيه الكافرون الذين وقع منهم التفرّق والمفارقة لدين الله ، ويستحقّ به المؤمنون الأجر والجنة، ويستحقّ به الكفار الإثم والتأييد في النار.
- الثاني :** تفرق أهل الكفر فيما بينهم إلى ملل شتى، وهذا النوع من الافتراق يُذمّ فيه جميع المفترقين المختلفين، ويستحقون به الإثم والخلود في النار.
- قال تعالى: { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ } فهذه (السبل) تشمل اليهودية والنصرانية والجوسية وسائر أهل الملل، وقال سبحانه : { إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعَاعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ } ، ففي قراءة: (فارقوا) ، أي: تركوا دينهم وخرجوا عنه، والآية تشمل كل من فارق الدين الذي بعث به النبي صلى الله عليه وسلم من: مشرك ووثني ويهودي ونصراني.
- الثالث :** تفريق الدين؛ وذلك بالإيمان ببعضه والكفر ببعضه الآخر، أو العمل ببعضه وترك العمل ببعضه الآخر، وهذا النوع يُذمّ فيه أهله كلّهم، قال تعالى: { وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مِنْ رَحْمِ رَبِّكَ } ، فجعل أهل الرحمة مستثنين من الاختلاف،

والتفريق: إن كان بالإيمان ببعض الدين والكفر ببعضه الآخر فهو كفر، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنُكْفِرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (١٥٠) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا }

الرابع: تفرق أهل الدين الواحد الصحيح إلى فرق وشيع وأحزاب، يضلل بعضها بعضاً ويعاديه ويبغضه، وهذا النوع من التفرق يُدَم فيه المفرقون كلهم، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعَابًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ }، وقال تعالى: {وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْثًا بَيْنَهُمْ }، وقال تعالى: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ }.

الخامس: مفارقة جماعة الحق، وهم الذين كانوا مع الأنبياء ومتبعين لهم، ثم من سار بسيرهم، وثبت على موافقتهم بعد ظهور الخروج عن منهج الأنبياء ومنهج أتباعهم، وهذا النوع من الافتراق يُدَم فيه المفاوقون المفرقون كلهم. وقد جاءت أدلة كثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم يأمر فيها بلزوم الجماعة، ويحذر من مفارقتها، وينهى عن ذلك أشدَّ النهي، ويذكر في ذلك الوعيد الشديد لمن فعله.

المسألة الرابعة : الفرق بين الافتراق والاختلاف:

وهذا أمر مهم جداً، وينبغي أن يُعنى به أهل العلم؛ لأن كثيراً من الناس خاصة بعض الدعاة وبعض طلاب العلم الذين لم يكتمل فقههم في الدين، لا يفرقون بين مسائل الخلاف ومسائل الافتراق، ومن هنا قد يرتب بعضهم على مسائل الاختلاف أحكام الافتراق، وهذا خطأ فاحش أصله الجهل بأصول الافتراق، ومتى يكون؟ وكيف يكون؟ ومن الذي يحكم بمفارقة شخص أو جماعة ما؟

من هنا كان لا بد من ذكر بعض الفروق بين الاختلاف والافتراق، فمن ذلك:

الفرق الأول: أن الافتراق أشد أنواع الاختلاف، بل هو من ثمار الخلاف، إذ قد يصل الخلاف إلى حد الافتراق، وقد لا يصل، فالافتراق اختلاف وزيادة، لكن ليس كل اختلاف افتراقاً، وينبغي على هذا الفرق الثاني.

الفرق الثاني: وهو أنه ليس كل اختلاف افتراقاً، بل كل افتراق اختلاف، فكثير من المسائل التي يتنازع فيها المسلمون هي من المسائل الخلافية، ولا يجوز الحكم على المخالف فيها بالكفر ولا المفارقة ولا الخروج من السنة.

الفرق الثالث: أن الافتراق لا يكون إلا على أصول كبرى، أي أصول الدين التي لا يسع الخلاف فيها، والتي ثبتت بنص قاطع أو بإجماع، أو استقرت منهجاً عملياً لأهل السنة والجماعة لا يختلفون عليه، فما كان كذلك فهو أصل، من خالف فيه فهو مفرق، أما ما دون ذلك فإنه يكون من باب الاختلاف.

فالاختلاف يكون فيما دون الأصول مما يقبل التعدد في الرأي، ويقبل الاجتهاد، ويحتل ذلك كله، وتكون له مسوغات عند قائله، أو يحتل فيه الجهل والإكراه والتأول، وذلك في أمور الاجتهادات والفرعيات، ويكون في بعض الأصول التي يعذر فيها بالعوارض عند المعتبرين من أئمة الدين، والفرعيات أحياناً قد تكون في: بعض مسائل العقيدة التي يتفق على

أصولها، ويختلف على جزئياتها ، كإجماع الأمة على وقوع الإسراء والمعراج ، واختلافهم وتنازعه في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه فيه، هل كانت عينية ، أو قلبية؟

الفرق الرابع : أن الاختلاف قد يكون عن اجتهاد وعن حسن نية ويؤجر عليه المخطئ ما دام متحريراً للحق ، والمصيب أكثر أجراً، وقد يحمى المخطئ على الاجتهاد أيضاً ، أما إذا وصل إلى حد الافتراق فهو مذموم كله، بينما الافتراق لا يكون عن اجتهاد، ولا عن حسن نية ، وصاحبه لا يؤجر بل هو مذموم وآثم على كل حال، ومن هنا فهو لا يكون إلا عن ابتداء أو عن اتباع هوى، أو تقليد مذموم، أو جهل مطبق.

الفرق الخامس: أن الافتراق يتعلق به الوعيد وكله شذوذ وهلكة ، أم الاختلاف فليس كذلك، مهما بلغ الخلاف بين المسلمين في أمور يسع فيها الاجتهاد ، أو يكون صاحب الرأي المخالف له مسوغ أو يحتمل أن يكون قال الرأي المخالف عن جهل بالدليل ولم تقم عليه بالحجة ، أو عن إكراه يعذر به قد لا يطلع عليه أحد ، أو عن تأول، ولا يتبن ذلك إلا بعد إقامة الحجة.

المسألة الخامسة: نشأة الفرق.

أول نشأة الاختلاف بين طوائف الأمة المحمدية كانت بعد مقتل عثمان رضي الله عنه حيث حدثت بدعة الخوارج والتشيع نتيجة لمقتله رضي الله عنه ، وبعد تحكيم الحكيمين في موقعة صفين ، لكن لم يكن للشيعة آنذاك جماعة ولا إمام ولا دار ، ولا سيف يقاتلون به المسلمين ، وإنما كانت الشوكة والقوة للخوارج ، حيث كان لهم إمام وجماعة ودار ، سموها: دار الهجرة ، وحكموا على غيرهم من المسلمين بأنهم دار كفر وحرب ، ويجمع الطائفتين تكفير ولاية المسلمين ، وجمهور الخوارج يكفرون عثمان وعلياً ومن تولاهما ، والرافضة يلعنون أبا بكر وعمر وعثمان ومن تولاهم ، لكن كان فساد الخوارج ظاهراً ، لاستحلالهم سفك الدماء ، وأخذ الأموال ، والخروج بالسيف ، بل وفعلوا ما اقتضاه اعتقادهم هذا ، فقتلوا عبد الله بن الخطاب ، وأغاروا على سرح المسلمين؛ ولذا قاتلهم علي رضي الله عنه وعلم أنهم هم الذين ذكروهم الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم يقرءون القرآن لا يتجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فيهم رجل مخدج اليد عليها بضع شعرات ، وفي رواية: يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان .

وأما الشيعة فكانوا مختلفين لا يظهرون لعلي وشيعته وهم ثلاث طوائف:

الطائفة الأولى: هي المؤلهة التي ألهمت علياً فأحرقهم بالنار .

والطائفة الثانية: السابة وقد بلغ علياً أن ابن سبأ يسب أبا بكر وعمر فطلبه .

والطائفة الثالثة: المفضلة الذين يفضلون علياً على أبي بكر وعمر وقد تواتر عن علي رضي الله عنه أنه قال: (خير هذه الأمة بعد نبينا أبو بكر ثم عمر) ، ولم تكن الشيعة الأولى تنازع في أفضلية أبي بكر وعمر على علي رضي الله عنهم ، وإنما كانوا يفضلون علياً على عثمان؛ لذا كان شريك بن عبد الله يقول: إن أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه

وسلم أبو بكر وعمر ، فقيل له ، تقول هذا وأنت من الشيعة ؟ فقال: كل الشيعة كانوا على هذا ، وهو الذي قال هذا على أعواد منبره ، أفتكذبه فيما قال؟ .

وفي أواخر عهد الصحابة حدثت بدعة القدرية والمرجئة، فأنكر ذلك الصحابة والتابعون كعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وجابر بن عبد الله ووائل بن الأسقع .

ثم إنه في أواخر عصر التابعين من أوائل المائة الثانية حدثت بدعة الجهمية منكرة الصفات، وكان أول من أظهر ذلك الجعد بن درهم، فطلبه خالد بن عبد الله القسري فضحى به بواسطة، فخطب الناس يوم النحر وقال: أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فإني مضح بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله تعالى لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً، تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً ثم نزل فدبحه .

ثم ظهر بهذا المذهب الجهم بن صفوان، ودخلت فيه بعد ذلك المعتزلة.

قال شيخ الإسلام : ((حدث أولاً بدعة الخوارج والشيعة ثم بدعة القدرية والمرجئة وكان آخر ما حدث بدعة الجهمية))

المسألة السادسة: أسباب الافتراق.

لو حاولنا أن نستقرئها منذ أن بدأ الافتراق حتى يومنا هذا ، لوجدناها كثيرة جداً ، لا تكاد تحصى ، وكلما تجددت للناس أفكار وثقافات وأهواء تجددت معها أسباب للافتراق ، لكن هناك أسباب كبرى رئيسة ، وتكاد تتفق عليها أصول الفرق قديماً وحديثاً ، وهي كما يلي :

السبب الأول : أول أسباب الافتراق وأشدها نكايه على الأمة : كيد الكائدين بأصنافهم من أهل الديانات ، كاليهود والنصارى والصابئة والجوس والدهريين ، وكذلك من الموتورين ، أي الذين حقدوا على الإسلام والمسلمين ؛ لأن الجهاد قضى على دولتهم ، ومعا عزة أديانهم وهيمنة سلطاتهم من الأرض ، كالفرس والروم ، فهؤلاء منهم الذين بقوا على كفرهم وحقدهم على المسلمين والدين والإسلام ، وآثروا النفاق والزندقة بإعلان الإسلام ظاهراً فقط ، أو البقاء على دياناتهم مع دفع الجزية ، حفاظاً على رقابهم ، وإيثاراً للسلامة ، للتعايش مع المسلمين ، وهؤلاء هم أشد المعاول عملاً في الفتك بالمسلمين ، والكيد لهم بالأفكار ، وبث المبادئ والبدع والأهواء بينهم .

السبب الثاني : رؤوس أهل الأهواء ، الذين يجدون مصالح شخصية أو شعبية في الافتراق ، وكذلك أتباعهم من الغوغائية ، فكثير من أتباع الفرق نجد أنهم يجدون في الفرق تحقيقاً لمصالح شخصية أو شعبية أو حزبية أو قبلية أو غيرها ، وربما بعضهم يقاتل على هذا الأمر لهوى ، أو لعصبية ، هذا الصنف هم مادة وقود الفرق ، فهم الذين يكثرون أتباع تلك الفرق ، ويجمعون حولهم لتحقيق هذه المصالح ، وهذه الفئة موجودة في كل زمان وفي كل مكان ، فإنه متى ما ظهر في الناس رأي شاذ ، أو بدعة أو صاحب هوى ، فإنه يجد من الغوغاء ، ومن أصحاب الأهواء وأصحاب الشهوات والأغراض الشخصية ، من يتبعه لتحقيق ذلك وما أكثرهم في كل زمان - لا أكثرهم الله - .

السبب الثالث : الجهل ، والجهل داء عضال وقاسم مشترك يشكل كل الأسباب ، لكن الجهل المقصود هنا هو عدم

التفقه في الدين عقيدة وشريعة ، وهو الجهل بالسنة وأصولها وقواعدها ومناهجها ، وليس مجرد عدم تحصيل المعلومات ؛ لأن الإنسان قد يكفيه أن يحصل ما يحصن به نفسه ، وما يحفظ به دينه ، ويكون بذلك عالماً بدينه ، ولو لم يتبحر في العلم ، والعكس كذلك ، قد يوجد من الناس من يعلم الشيء الكثير ، وذهنه محشو بالمعلومات ، لكنه يجهل بديهيات الأصول والقواعد الشرعية في الدين ، فلا يفقه أصول العقيدة وأحكام الافتراق ، وأحكام التعامل مع الافتراق ، وأحكام التعامل مع الآخرين ، وهذه مصيبة كبرى أصيب بها كثير من الناس اليوم ، وهي أن الواحد منهم توجد لديه معلومات شرعية ، أو يكون ممن يتعلمون ويأخذون العلم الشرعي عن مصادر كثيرة ، لكن تجده جاهلاً في العقيدة وفقه أحكام التعامل مع الناس ، والدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فيفسد من حيث لا يشعر ، فالجهل مصيبة ، والجهل سبب رئيسي لوجود الافتراق ، والجهلاء هم مادة الفرق ، وهم وقودها .

السبب الرابع : الخلل في منهج تلقي الدين ، وأقصد بذلك أنه قد يوجد لدى كثير من الناس - كما أسلفت - علم ، وقد يطلع على كثير من الكتب ، لكنه يجهل أو اختل عنده منهج تلقي الدين ، لأن تلقي الدين له منهج ماثور منذ عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - والصحابة والتابعين ، وسلف الأمة ، واقتفاه أئمة الهدى إلى يومنا هذا . وهذا المنهج إنما هو العلم والعمل والاهتداء والافتداء والسلوك والتعامل ، وهو الإمام بالقواعد الشرعية والأصول العامة أكثر من مجرد الإمام بفرعيات الأحكام أو بكميات النصوص .

وذلك يتم بتلقي الدين عن القدوة ، الأئمة العدول الثقات ، وعن طلال العلم الموثوق بهم ، وبعلمهم ، وأن يؤخذ العلم بالتدرج النوعي والكمي حسب المدارك والاستعداد ، والعلم الذي يحصل به الفقه في الدين هو العلم الشرعي المستمد من الكتاب والسنة والآثار الصحيحة عن أئمة الهدى ، فالكتب الثقافية والفكرية والأدبية والتاريخية ونحوها لا تفقه في الدين ، إنما هي علوم وافدة مساعدة لمن أحسن انتقاءها .

المسألة السابعة : حديث الافتراق - رواية ودراية - وحكم الفرق الواردة في الحديث

حديث افتراق الأمة رواه عدد من الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمن ذلك : حديث معاوية بن أبي سفيان قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ((ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة)) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه والإمام أحمد

وحديث أنس، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة، وإن أمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة)) رواه ابن ماجه والإمام أحمد

وحديث أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((تفرقت اليهود على إحدى وسبعين أو اثنتين وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة.)) رواه الترمذي وابن ماجه

وأخرج الترمذي عن عبد الله بن عمرو، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وإن بني إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا

عليه وأصحابي))

المسائل المتعلقة بهذا الحديث :

أولاً: أقوال العلماء في الحكم عليه: للعلماء في حديث الافتراق قولان :

القول الأول : ذهب الجمع الغفير من أهل العلم - المتقدمين منهم والمتأخرين والمعاصرين - إلى قبول حديث افتراق الأمم ، والاحتجاج به، والاعتماد عليه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((وقد جاءت الأحاديث في السنن والمسند من وجوه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة)... فأكثر أهل العلم قبلوها وصدقوها)).

وقال العلامة الألباني: ((... تبين بوضوح أن الحديث ثابت لا شك فيه، ولذلك تتابع العلماء خلفاً عن سلف على الاحتجاج به، حتى قال الحاكم في أول كتابه المستدرک: (إنه حديث كبير في الأصول)).

القول الثاني : تضعيف الحديث وعليه طائفة قليلة من أهل العلم كابن حزم وابن الوزير والشوكاني.

قال ابن حزم عن حديث "الافتراق" وحديث "القدرية والمرجئة" مجوس هذه الأمة". : ((هذان حديثان لا يصحان أصلاً من طريق الإسناد))

وقال ابن الوزير : ((بعد أن أشار إلى ما لهذه الأمة من الفضائل العظيمة: ((واطرح قول من كفرهم بغير دليل شرعي متواتر قطعي... وإياك والاعتزاز بـ(كلها هالكة إلا واحدة) فإنها زيادة فاسدة غير صحيحة القاعدة، لا يؤمن أن تكون من دسيس الملاحدة))

وقال الشوكاني بعد نقله عن ابن كثير أن حديث افتراق الأمم إلى بضع وسبعين مروي من طرق عديدة: ((أما زيادة كونها في النار إلا واحدة فقد ضعفها جماعة من المحدثين، بل قال ابن حزم: إنها موضوعة)).

والقول الصحيح هو ما عليه أكثر أهل العلم المتقدمين والمتأخرين من أن الحديث ثابت صحيح لا مطعن فيه كما بين ذلك الألباني رحمه الله عند دراسته للحديث.

وقال شيخ الإسلام: ((الحديث صحيح مشهور في السنن والمسند))

ثانياً: هل العدد الوارد في الحديث للتكثير والمبالغة أو للتحديد والحصر ؟

اختلف العلماء في ذلك على قولين :

القول الأول: أن العدد يراد به التكثير لا التحديد، ويستدلون بدليلين على أن العدد في الحديث لم يرد به حقيقته ، وعلى أنه - هنا - لا مفهوم له، بل المراد به المبالغة والتكثير:

دليلهم الأول: هو أن العدد (٧٠) جاء التعبير به في الشرع ولغة العرب لإرادة التكثير لا العدد المخصوص، وذلك قرينة صارفة للعدد أن يراد به حقيقته - في هذا الحديث - ولا سيما إذا أضفنا إلى ذلك:

الدليل الثاني، وهو: أن واقع الفرق يدل على إرادة التكثير، فإذا اعتبرنا أصولها لم تبلغ هذا العدد، وإذا اعتبرنا فروعها زادت عليه بأضعاف مضاعفة.

فتعين - إذًا - أن العدد يراد به هنا المبالغة والتكثير، لا الحصر والتحديد.

القول الثاني: ذهب جمهور أهل العلم والتصنيف من المتقدمين والمتأخرين إلى أن العدد الوارد في حديث افتراق الأمم للتحديد والحصر والتعيين، فعدد الفرق في اليهود والنصارى وهذه الأمة منحصر في العدد الذي أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم، لا يزيد عليه البتة

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " وهذا الذي قاله ابن المبارك في تقسيم أصول الفرق إلى أربعة، وإخراج الجهمية منهم اتبعه عليه طائفة من العلماء من أصحاب أحمد وغيرهم، قالوا: إن الجهمية كفار، فلا يدخلون في الاثنتين والسبعين فرقة...، وقال آخرون من أصحاب أحمد وغيرهم: بل الجهمية داخلون في الاثنتين والسبعين فرقة، وجعلوا أصول البدع خمسة، فعلى قول هؤلاء يكون كل طائفة من المبتدعة الخمسة اثنا عشر فرقة، وعلى قول الأولين يكون كل طائفة من المبتدعة الأربعة ثمانية عشر فرقة"

وقال أبو بكر الطرطوشي قال: " اعلم أن علماءنا قالوا: أصول البدع أربعة وسائر الأصناف الاثنتين وسبعين فرقة عن هؤلاء تفرقوا و تشبعوا " .

و قال ابن الجوزي رحمه الله: ((أصول الفرق: الحورية و القدرية و الجهمية و المرجئة و الرافضة و الجبرية وقد قال بعض أهل العلم: " أصل الفرق الضالة هذه الفرق الست، و قد انقسمت كل فرقة منها على اثني عشرة فرقة فصارت اثني و سبعين فرقة)) .

و قال الشاطبي: ((فكثير ممن تقدم و تأخر من العلماء عينوها يعني " الثنتين و سبعين فرقة "، فمنهم من عد أصولها

ثمانية .. وقال جماعة من العلماء: " أصول البدع أربعة وسائر الثنتين وسبعين فرقة عن هؤلاء تفرقوا))

وهذا القول الأخير وهو اعتبار العدد المذكور في النص وأن فرق الأمة ستكون ثلاثاً وسبعين فرقة هو الأظهر و الصحيح، حيث إن صريح اللفظ يدل عليه، كما أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قدم عليه ذكر افتراق اليهود والنصارى و عدد فرقهم، مما يدل صراحة على أنه يقصد عليه الصلاة و السلام تحديد فرق هذه الأمة، و أنها ستزيد عن قبلها و الذي لم يدل عليه دليل هو تعيين تلك الفرق، فإنه لم يدل دليل على تعيينها، لهذا نجد أن أهل العلم اختلفوا في أصولها و فروعها، فمنهم من عد أصولها أربعة، ومنهم من عدّها ستة، و منهم من عدّها ثمانية، و منهم من عدّها أكثر من ذلك، و حديث النبي صلى الله عليه وسلم لم يسم شيئاً منها، إلا أنه ذكر حكمها و أنها فرق ضلالة ووصف وحدد الفرقة الناجية و هي واحدة فقط .

ومن المعلوم أنه كلما امتد الزمان كلما زاد الافتراق و ظهر في الأمة فرق لم تكن ظهرت من قبل، فإن زماننا هذا فيه فرق الضلالة السابقة، و هناك فرق جديدة ظهرت و تظهر، مما يجعل التحديد بأصول وفروع لا يسلم على كل حال، إلا على اعتبار ما حدث لا أنه هو كل ما سيحدث . لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يحدد زماننا لظهور الفرق.

هل هذه الفرق من أهل الملة أم هم خارجون من الملة :

هذه المسألة يتعلق بها أمران :

الأول : حكم هذه الفرق : الموقف الصحيح الذي ينبغي اعتقاده والمصير إليه؛ أن الفرق الاثنتين والسبعين -في الجملة- لا يزالون من أهل الإسلام، ولم يخرجوا منه إلى الكفر؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم مع حكمه على الفرق بأنها كلها في النار- " لم يخرجهم من الإسلام، بل جعلهم من أمته " ، فقال: "وتفترق أمتي".
والأئمة -رحمهم الله- لم يكفروا جميع أهل البدع:

• فالأئمة عن السلف والأئمة إطلاق القول بتكفير الجهمية المحضة الذين ينكرون الصفات، وحقيقة قولهم: أن الله لا يتكلم ولا يرى، ولا يباين المخلوق، ولا له علم ولا قدرة، ولا سمع، ولا بصر، ولا حياة، بل القرآن مخلوق، وأهل الجنة لا يرونه كما لا يراه أهل النار... وأمثال هذه المقالات.

• والمأثور عنهم أيضا تكفير القدرية الذين ينفون الكتابة والعلم.

• وفي تكفير الخوارج والروافض نزاع، وتردد بين الإمام أحمد وغيره، مع أن الخوارج -مع كونهم من أظهر الناس بدعةً، وقتالا للأئمة، وتكفيرا لها- لم يكن في الصحابة من يكفرهم- لا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ولا غيره- أو يجعلهم مرتدين، بل حكموا فيهم بحكمهم في المسلمين الظالمين المعتدين، واتقوا الله فيهم، وساروا فيهم السيرة العادلة.

• وأما سائر أهل الأهواء والبدع ممن كان مؤمنا بالله ورسوله ظاهرا وباطنا، لكن فيه جهل وظلم حتى أخطأ ما أخطأ من السنة؛ فهذا ليس بكافر ولا منافق في الباطن- وإن أخطأ في التأويل -كائنا ما كان خطؤه- بل هو باقٍ في دائرة الإسلام. ويترتب على ما سبق أمران:

١- أن من كفر الثنتين والسبعين فرقة كلهم، أو قال: إن الثنتين والسبعين فرقة كل واحد منهم يكفر كفرا ينقل عن الملة؛ فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، والتابعين لهم بإحسان -ومنهم الأئمة الأربعة-.

٢- أن الفرق الاثنتين والسبعين ليسوا في مرتبة واحدة:

• فقد يكون فيهم المنافق الزنديق المندس بينهم؛ فهذا كافر -في الباطن-، ويكثر مثل هذا في الرافضة والجهمية؛ فإن رؤساءهم كانوا منافقين زنادقة، وأول من ابتدع الرفض كان منافقا، وكذلك التجهم، فإن أصله زندقة ونفاق.
• وقد يكون فيهم من هو مبتدع، أخرجته بدعته من الإسلام إلى الكفر؛ فهذان الصنفان خارجان عن ملة الإسلام، وهما في الحقيقة ليسوا من الثنتين والسبعين فرقة إلا ظاهرا؛ لأنهم ليسوا من أمته -صلى الله عليه وسلم-.
• وقد يكون فيهم المؤمن ظاهرا وباطنا، لكنه -بجهله وظلمه- خالف السنة، ووقع في البدعة، ثم كان منه عدوان وظلم أخرجته من السنة إلى البدعة، ومن الإيمان والطاعة إلى الفسق والمعصية، فهذا باقٍ في الإسلام، ويعامل معاملة مبتدعة المسلمين.

• وقد يكون فيهم المؤمن الذي قصد اتباع الحق، وما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، ولكنه أخطأ ولم يعرف الحق؛ فهذا مخطئ معذور؛ فإن الله تجاوز لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان، وهو أولى أن يعذره الله في الآخرة من المتعمد العالم

بالذنب.

الثاني : دخول هذه الفرق النار : فيقال في ذلك أن هذا النص من نصوص الوعيد التي توعد الله بها المخالفين العصاة من أهل الإسلام؛ فينبغي التعامل معه كغيره من نصوص الوعيد من أنهم تحت مشيئة الله ، فمن شاء الله عذبه بعدله، وأدخله النار، ومن شاء رَحِمه بفضله، وغفر له، وأدخله الجنة، ومن دخل منهم النار؛ فإنه لا يخلد فيها —فإن النبي صلى الله عليه وسلم " لم يقل: إنهم يخلدون في النار" بل يخرجهم الله منها، ويدخله الجنة، وهذا إنما هو فيمن كان منها من أهل الإيمان والتوحيد باطنا وظاهرا.وأما من كان منافقا أو أخرجته بدعته إلى الكفر فهو خالد في النار خلودا مؤبدا

من هي الفرقة الناجية : وصفت الفرقة الناجية في الأحاديث بثلاث صفات:

إحداها: أنهم الجماعة.

الثانية: أنهم السواد الأعظم.

الثالثة: أنهم من كان على مثل ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين، وهذه الصفة تبين المراد من الصفتين قبلها.

وهذا الوصف لا ينطبق إلا على أهل الحديث والسنة؛ فإنهم هم الذين على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه. فهم الفرقة الناجية ولهذا قال الإمام أحمد بن حنبل، وقد ذكر حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "تفترق الأمة على نيف وسبعين فرقة، كلها في النار إلا فرقة": إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري من هم .

وقال الإمام عبد القادر الجيلاني وقد ذكر أصول الفرق ... : "وأما الفرقة الناجية: فهي أهل السنة والجماعة"

وقال شيخ الإسلام بعد ما ذكر روايات حديث الافتراق : (ولهذا وصف الفرقة الناجية بأنها أهل السنة والجماعة وهم الجمهور الأكبر والسواد الأعظم، وأما الفرق الباقية فإنهم أهل الشذوذ والتفرق والبدع والأهواء ولا تبلغ الفرقة من هؤلاء قريبا من مبلغ الفرقة الناجية فضلا عن أن تكون بقدرها بل قد تكون الفرقة منها في غاية القلة. وشعار هذه الفرق مفارقة الكتاب والسنة والإجماع، فمن قال بالكتاب والسنة والإجماع كان من أهل السنة والجماعة)

وأهل العلم عند تفسيرهم للجماعة الناجية اختلفت عبارتهم في تفسير الجماعة لفظاً لا في المعنى فعبارتهم في ذلك من باب اختلاف التنوع لا التضاد، وهي كلها تدل على أن الجماعة الناجية هم من كان على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وهذا كما سبق بيانه لا ينطبق إلا على أهل السنة والجماعة وألفاظ العلماء الواردة في تفسير الجماعة هي :

١- أن المراد بالجماعة السواد الأعظم من أهل الإسلام.

٢- وقيل: هم العلماء المجتهدون الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن أمتي لا تجتمع على ضلالة)) ، أي لن يجتمع علماء أمتي على ضلالة

٣- إنهم خصوص من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين قال فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم في رواية: ((ما أنا عليه اليوم وأصحابي))

٤- أن الجماعة هم جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير

المسألة الثامنة: صفات أهل الأهواء

١- الفرقة ، والفرقة التي وقع فيها أهل البدع والأهواء لها ثلاثة جوانب:

الأول: مفارقة فرقة أهل الأهواء والبدع ما عليه الأنبياء والرسل والفرقة الناجية، من أتباعهم، قال تعالى: ﴿ وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد ﴾ ، وقال تعالى: ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ﴾ ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((وشعار هذه الفرقة: مفارقة الكتاب والسنة والإجماع))

الثاني: مفارقة فرقة أهل البدع والأهواء بعضها بعضاً، قال عز وجل: ﴿ إن فرقتوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء ﴾ ((أي: جماعات بعضهم قد فارق البعض، ليسوا على تألف ولا تعاضد وتناصر، بل على ضد ذلك)) وهذا الجانبان دلّ عليهما حديث افتراق الأمم .

الثالث: مفارقة أتباع الفرقة الواحدة من فرقة أهل الأهواء والبدع بعضهم بعضاً، وتفرقت الفرقة الواحدة - من ثم - إلى فرقة عديدة.

وهذا الجانب تشهد به الكتب المصنفة في الفرق، فما من فرقة من فرق أهل البدع والأهواء الرئيسة إلا حصل بين أتباعها نزاعات واختلافات أدت إلى انقسامهم فيما بينهم، وتنتج عن ذلك تفرقت الفرقة الواحدة إلى فرق عديدة.

- فالخوارج - أول فرق هذه الأمة - انقسموا فيما بينهم إلى عشرين فرقة
- والشيعية أعظم تفرقاً وأكثر اختلافاً - في أنفسهم - من جميع فرق الأمة، حتى قيل: إنهم يبلغون ثنتين وسبعين فرقة.
- وأهل الفلسفة والكلام أعظم الناس افتراقاً واختلافاً - مع دعوى كل منهم أن الذي يقوله حق مقطوع به قام عليه البرهان -، فلا يتفق منهم اثنان رئيسان على جميع مقدمات دليل إلا نادراً، فكل رئيس من رؤساء الفلاسفة والمتكلمين له طريقة في الاستدلال تخالف طريقة الرئيس الآخر

٢- اتباع الهوى: فاتباع الهوى من أبرز علامات أهل البدع والمفارقة للفرقة الناجية، المفترقين فيما بينهم

وقد جاءت الإشارة إليه في إحدى روايات حديث افتراق الأمم، ففي حديث معاوية: ((وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة - يعني الأهواء -، كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة. وإنه سيخرج في أمي أقوامٌ تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه، لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله)). ((أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن لزوم اتباع الهوى لأهل البدع، وأنه لا ينفك عنهم بحال)).

وكان السلف - رحمهم الله - يسمون أهل البدع والتفرق المخالفين للكتاب والسنة: أهل الأهواء، قال ابن القيم - رحمه الله -: ((وكان السلف يسمون أهل الآراء المخالفة للسنة وما جاء به الرسول في مسائل العلم الخيرية، وأهل مسائل الأحكام العملية؛ يسمونهم: أهل الشبهات والأهواء؛ لأن الرأي المخالف للسنة جهل لا علم، وهوى لا دين، فصاحبه ممن اتبع هواه بغير هدى من الله))

٣- اتباع المتشابه: دل القرآن الكريم على أن اتّباع المتشابه من علامات أهل البدع والفرقة، فقد دلّت على ذلك السنة،

وبه جاء الأثر. روى الطبراني في معجمه عن أبي غالب، قال: كنت بالشام، فبعث المهلب سبعين رأساً من الخوارج، فنصبوا على باب المسجد، وكنت على ظهر بيت لي، فمر أبو أمامة يريد المسجد، فلما وقف عليهم دمعت عيناه، فقال: «سبحان الله، ما يفعل الشيطان ببني آدم» - ثلاثاً - قال: «كلاب جهنم شر قتلى تحت ظل السماء» - ثلاث مرات - ثم قال: «خير قتلى تحت ظل السماء من قتلوه» - ثلاثاً - ثم التفت إلي فقال: «يا أبا غالب، إنك بأرض هؤلاء بها كثير، فأعاذك الله منهم. هل تقرأ السورة التي فيها آل عمران؟» قلت: بلى، إني رأيتك دمعت عيناك. قال: «بكيت رحمة لهم، كانوا من أهل الإسلام» فتلا: {هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات} [آل عمران: ٧] إلى أن بلغ: {ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله} [آل عمران: ٧] وإن هؤلاء كان في قلوبهم زيغ، فزيغ بهم، ثم تلا: {ولا تكونوا كالذين تفرقوا} [آل عمران: ١٠٥] إلى أن بلغ: {أكفرتم بعد إيمانكم} [آل عمران: ١٠٦] قلت: هؤلاء يا أبا أمامة؟ قال: «نعم». قلت: يا أبا أمامة من قبل رأيك تقول، أم شيئاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: «إني لجريء - ثلاثاً - بل شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا مرة، ولا مرتين حتى بلغ ستة»

وأما الأثر: فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: ((سيأتي أناس سيجادلونكم بشبهات القرآن، خذوهم بالسنن، فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله))

٤ - معارضة السنة بالقرآن : قال الإمام البرهاري -رحمه الله-: ((وإذا سمعت الرجل يطعن على الآثار، أو يردّ الآثار، أو يريد غير الآثار؛ فاتهمه على الإسلام، ولا تشكّ أنه صاحبه هوىً مبتدع))

وقال أيضاً: ((وإذا سمعت الرجل تأتيه بالأثر فلا يريد، ويريد القرآن؛ فلا شكّ أنه رجل قد احتوى على الزندقة، فقم من عنده ودعه))

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بوقوع ذلك في أمته -قبل أن يقع-، فعن المقدم بن معد يكرب مرفوعاً: ((يوشك الرجل متكئاً على أريكته، يُحدّث بحديثي فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله عزّ وجلّ، فما وجدنا فيه من حلالٍ استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرّمناه، ألا وإن ما حرّم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما حرّم الله)). أخرجه أبو داود والترمذي (وابن ماجه -واللفظ له-، وفي رواية لأبي داود: ((ألا إني أوتيتُ الكتاب ومثله معه)).

٥ - بغض أهل الأثر: أهل الأهواء والبدع والفرقة -وإن تنازعوا واقتتلوا فيما بينهم- فهم مجتمعون متنصرون على حرب أهل الأثر، وحالهم في ذلك كما قال قتادة: ((تجد أهل الباطل مختلفة شهادتهم، مختلفة أهواؤهم، مختلفة أعمالهم، وهم مجتمعون في عداوة أهل الحق))

قال أحمد بن سنان القطان : ((ليس في الدنيا مبتدع إلا وهو يبغض أهل الحديث)).

وقال أبو حاتم الرازي : ((علامة أهل البدع والوقية في أهل الأثر))

٦ - إطلاق الألقاب السيئة على أهل السنة : نصّ أئمة أهل السنة -كالإمام أحمد وأبي حاتم الرازي والبرهاري واللالكائي وأبي عثمان الصابوني وغيرهم- على أن من علامات أهل البدع إطلاق الألقاب الشنيعة القبيحة على أهل السنة، فمن الأسماء والألقاب التي أطلقها أهل الباطل على أهل السنة : المشبهة، والجسمة، والحشوية، والناصبة وغير

ذلك من الأسماء الباطلة

٧- ترك انتحال مذهب السلف: من أبرز علامات أهل البدع والفرقة: ترك انتحال مذهب السلف -رحمهم الله-، واتباع مذاهب مبتدعة محدثة ما أنزل الله بها من سلطان.

فمتكلمة أهل الإثبات من الكلائية والأشعرية والكرامية -وإن كانوا في الجملة لا يطعنون في السلف- فهم يصرحون بمخالفة السلف في مسائل الدين، ويذكرون الخلاف بين السلف وبين أصحابهم المتكلمين. أو ليس ذلك صريحاً في أن السلف كانوا ضالين عن التوحيد والتنزيه وغير ذلك، وعلمه المتأخرون؟.

وقد يجعلون إخوانهم المتأخرين أحذق وأعلم من السلف، فيقولون: طريقة السلف أسلم، وطريقة هؤلاء أعلم وأحكم. فيصفون إخوانهم بالفضيلة في العلم والبيان والتحقيق والعرفان، ويصمون السلف بالنقص في ذلك والتقصير فيه أو الخطأ والجهل.

٨- تكفير مخالفهم بغير دليل: فأهل الأهواء والابتداع والفرقة أهل تبائين لا تعاون، واختلاف لا ائتلاف، وشقاق لا اتفاق.

وأبرز ما يتضح به خروجهم عن الحق، وتناحرهم فيما بينهم: تكفير المخالفين لهم بغير دليل ومستند، ولا برهانٍ معتمد، بل هو محض الرأي والهوى، والاعتداء والافتراء

فأول الفرق في هذه الأمة هي فرقة الخوارج، و((هم أول من كفر المسلمين، يكفرون بالذنوب، ويكفرون من خالفهم في بدعتهم، ويستحلون دمه وماله. وهذه حال أهل البدع)).

المسألة التاسعة: الآثار المترتبة على الافتراق:

١- ظهور التكفير والتبديع والتفسيق بغير حق: فكل فرقة تعتقد أنها على الحق وتوالي عليه، وتعتقد أن غيرها على الباطل وتعادىها لذلك، فصارت كل فرقة إنما توالي وتعادى وتحب وتبغض على ما ترى هي أنه الحق أو الباطل، لا على الدين الذي أرسل الله به الرسل وأنزل الكتب.

وهذه المرحلة تتبعها مرحلتان متتاليتان:

الأولى - اعتقاد كل فرقة أن الباطل الذي تراه كذلك في الفرق الأخرى موجب لتبديع تلك الفرق أو تكفيرها.

الثانية - بعد اعتقاد كفر الفرق الأخرى أو ابتداعها ترتب كل فرقة على ذلك الاعتقاد أحكاماً تبتدعها.

فبعد أن تعتقد كل فرقة أنها على الحق، وغيرها على الباطل؛ ترى أن الحق الذي معها هو الدين الواجب إتياعه، وأن من خالفه فهو مبتدع أو كافر، فتتوصل بذلك إلى تبديع أو تكفير جميع الفرق المخالفة لها. وهذه حال جميع أهل البدع

٢- فشو البدع وضياع السنن: كل تفرق فهو متضمن ترك سنة من سنن الدين، وارتكاب بدعة من البدع المحدثه، وهذا هو معنى ما ورد عن عدد من السلف من أنه ما ابتدع قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها، ولا شك أن التفرق من أعظم البدع.

٣- ضعف الأمة وطمع أعدائها فيها: قال شيخ الإسلام: ((وهذا التفريق الذي حصل من الأمة علمائها ومشايخها؛

وأمرائها وكبرائها هو الذي أوجب تسلط الأعداء عليها. وذلك بتركهم العمل بطاعة الله ورسوله كما قال تعالى: {ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء} . فمتى ترك الناس بعض ما أمرهم الله به وقعت بينهم العداوة والبغضاء وإذا تفرق القوم فسدوا وهلكوا وإذا اجتمعوا صلحوا وملكوا؛ فإن الجماعة رحمة والفرقة عذاب))

المسألة العاشرة: التحذير من البدع والنهي عن الافتراق من الكتاب والسنة وآثار السلف:

أولاً : الأدلة من القرآن

- ١- قوله تعالى : {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ}
 - ٢- وقوله تعالى : {وَاَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} .
 - ٣- وقوله تعالى : {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ} .
- والآيات واضحة في معناها ودلالاتها ولا تحتاج إلا إلى التطبيق بجد وإخلاص، فهي تحذر من التفرق وتدعو إلى الوحدة وجمع كلمة المسلمين، والسير في طريق واحد. فإذا تفرق المسلمون بعد ذلك فهم خارجون عن السير فيه، وحينما تفرق المسلمون أحزاباً كل حزب بما لديهم فرحون، زعمت كل فرقة أنها هي الناجية، وما عداها هالك، حتى التبس الأمر على كثير من المسلمين فلم يهتد إلى الفرقة الناجية بسبب تلك المزاعم، ولا ينبغي أن نأبه لتلك المزاعم، بل نعرض كل ما نسمع على كتاب الله وسنة نبيه، فما وافقهما فهو الحق، وما خالفهما عرفنا أنه باطل وهذا هو الميزان الذي ينبغي أن نزن به كل قول ومعتقد مهما كان مصدره كما هو حال أهل السنة في عرضهم للأقوال والمعتقدات على كتاب الله وسنة رسوله، وهو توفيق من الله لهم، وهم الفرقة الناجية، وهم أهل الحق إلى أن تقوم القيامة.

ثانياً: الأدلة من السنة النبوية على التحذير من البدعة والنهي عن التفرق :

من عناية الرسول صلى الله عليه وسلم بالدعوة إلى اجتماع كلمة المسلمين وتحذيرهم عن التفرق أحاديث كثيرة منها على سبيل المثال:

- ١- عن عبد الله بن مسعود، قال: خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً، ثم قال: " هذا سبيل الله "، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله، ثم قال: " هذه سبيل - قال يزيد: متفرقة - على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه "، ثم قرأ: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ، فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ) رواه الإمام أحمد في مسنده
- ٢- وروى الترمذي وصححه، وأبو داود وغيرهما عن العرياض بن سارية قال: «صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب. فقال قائل: يا رسول الله؟ كأن هذا موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ فقال: " أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن كان عبداً حبشياً؛ فإنه من يعيش منكم بعدي؛ فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.
- ٣- وفي صحيح مسلم عن حذيفة، قال: "قلت يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا

الخير من شر؟ قال: نعم. قلت: فهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال نعم وفيه دخن، قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يستنون بغير سنتي ويهتدون بغير هدي تعرف منهم وتنكر، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم دعاة على أبواب جهنم من أجاهم إليها قذفوه فيها فقلت: صفهم لنا؟ قال: نعم، قوم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا، قلت: يا رسول الله فما ترى إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فأعزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض على شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك".

٤- وفي الصحيح من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من دعا إلى الهدى؛ كان له من الأجر مثل أجور من يتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثم مثل آثام من يتبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً».

ثالثاً: ما جاء عن السلف في التحذير من البدعة والنهي عن التفرق :

١- عن حذيفة - رضي الله عنه - قال: (يا معشر القراء استقيموا فقد سبقتم سبقاً بعيداً، ولئن أخذتم يميناً أو شمالاً لقد ضللتهم ضلالاً بعيداً..).

٢- وروى الآجري بسنده عن أبي العالية قوله: (تعلموا الإسلام، فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه، وعليكم بالصراط المستقيم، فإنه الإسلام ولا تحرفوا عن الصراط يميناً ولا شمالاً، وعليكم بسنة نبيكم - صلى الله عليه وسلم - والذي عليه أصحابه، فإننا قد قرأنا القرآن من قبل أن يفعلوا الذي فعلوه خمس عشرة سنة، وإياكم وهذه الأهواء التي تلقي بين الناس العداوة والبغضاء، فحدثت به الحسن فقال: صدق ونصح..).

٣- وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: (عليكم بالاستقامة والأثر وإياكم والتبدع)

٤- وروى الإمام أحمد في الزهد بسنده عن الحسن البصري أنه قال: (اعرفوا المهاجرين بفضلهم، واتبعوا آثارهم وإياكم ما أحدث الناس في دينهم، فإن شر الأمور المحدثات).

٥- وقال حسان بن عطية - كما روى ذلك الأوزاعي عنه: (ما ابتدع قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها ولا يعيدها إليهم إلى يوم القيامة).

٦- وقال رجل لسفيان الثوري: يا أبا عبد الله أوصني، قال: إياك والأهواء، وإياك والخصومة، وإياك والسلطان)

المسألة الحادية عشرة : صفات الفرقة الناجية وأدلتها:

أهل السنة والجماعة هم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة لهم خصائص وسمات تميزهم عن غيرهم، منها:

- ١- الاقتصار في التلقي على الكتاب والسنة: فهم ينهلون من هذا المنهل العذب عقائدهم، وعباداتهم، ومعاملاتهم، وسلوكهم، وأخلاقهم، فكل ما وافق الكتاب والسنة قبلوه وأثبتوه، وكل ما خالفهما ردوه على قائله كائناً من كان.
- ٢- التسليم لنصوص الشرع، وفهمها على مقتضى منهج السلف: فهم يسلمون لنصوص الشرع، سواء فهموا الحكمة منها أم لا، ولا يعرضون النصوص على عقولهم، بل يعرضون عقولهم على النصوص، ويفهمونها كما فهمها السلف الصالح.
- ٣- الاتباع وترك الابتداع: فهم لا يقدمون بين يدي الله ورسوله، ولا يرفعون أصواتهم فوق صوت النبي "ولا يرضون لأحد

كائناً من كان أن يرفع صوته فوق صوت النبي". بخلاف المبتدعة الضالين، الذين ابتدعوا في الدين، مستدركين على وحي رب العالمين، ألا ساء ما يعملون.

٤- الاهتمام بالكتاب والسنة: فهم يهتمون بالقرآن حفظاً وتلاوة، وتفسيراً، وبالحدِيث دراية ورواية. بخلاف غيرهم من المبتدعة الذي يهتمون بكلام شيوخهم أكثر من اهتمامهم بالكتاب والسنة.

٥- احتجاجهم بالسنة الصحيحة وترك التفريق بين المتواتر والآحاد: سواء في الأحكام أو العقائد، فهم يرون حجية الحدِيث إذا صح عن رسول الله" ولو كان آحاداً.

٦- ليس لهم إمام معظم يأخذون كلامه كله، ويدعون ما خالفه إلا الرسول": أما غير الرسول" فإنهم يعرضون كلامه على الكتاب والسنة، فما وافقهما قُبل، وما لا فلا، فهم يعتقدون أن كل أحد يؤخذ من قوله ويرد إلا الرسول". أما غيرهم من الفرق الأخرى، ومن متعصبة المذاهب_ فإنهم يأخذون كلام أئمتهم كله حتى ولو خالف الدليل.

٧- هم أعلم الناس بالرسول": فهم يعلمون هديه، وأعماله، وأقواله، وتقريراته؛ لذلك فهم أشد الناس حباً له، واتباعاً لسنته. بخلاف غيرهم من أهل البدع الذي يعرفون عن أئمتهم ما لا يعرفونه عن رسول الله".

٨- الدخول في الدين كله: فهم يدخلون في الدين كله، ويؤمنون بالكتاب كله؛ امثالاً لقوله تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً] (البقرة: ٢٠٨). بخلاف الذين فرقوا دينهم، وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون.

وبخلاف الذين نسوا حظاً مما ذكروا به، والذين جعلوا القرآن عضين؛ فأمنوا ببعض الكتاب، وكفروا ببعض.

٩- تعظيم السلف الصالح: فأهل السنة يعظمون السلف الصالح، ويقتدون بهم، ويهتدون بهديهم، ويرون أن طريقتهم هي الأسلم، والأعلم، والأحكم.

١٠- الجمع بين النصوص في المسألة الواحدة، ورد المتشابه إلى المحكم: فهم يجمعون بين النصوص الشرعية في المسألة الواحدة، ويردون المتشابه إلى المحكم؛ حتى يصلوا إلى الحق في المسألة.

١١- عدم الاختلاف في أصول الاعتقاد: فالسلف الصالح لا يختلفون بحمد الله في أصل من أصول الدين، وقواعد الاعتقاد؛ فقولهم في أسماء الله وصفاته وأفعاله واحد، وقولهم في الإيمان وتعريفه ومسائله واحد، وقولهم في القدر واحد، وهكذا في باقي الأصول.

١٢- الوسطية: قال تعالى: [وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا] (البقرة: ١٤٣). فالوسطية من أعظم ما يتميز به أهل السنة والجماعة.

فكما أن أمة الإسلام وسط بين الأمم التي تجنح إلى الغلو الضار، والأمم التي تميل إلى التفريط المهلك_ فكذلك أهل السنة والجماعة؛ فهم متوسطون بين فرق الأمة المبتدعة التي انحرفت عن الصراط المستقيم.

وتتحلى وسطية أهل السنة والجماعة في شتى الأمور؛ سواء في باب العقيدة، أو الأحكام، أو السلوك، أو الأخلاق، أو غير ذلك.

المسألة الثانية عشرة : منهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع المخالفين من الفرق.

المخالف لأهل السنة والجماعة إما أن تكون بدعته مكفرة ، أو تكون غير مكفرة ولكل حكمه **فأن كان بدعته بدعة مكفرة** ، فهذا لا يصلى عليه ، ولا يدعى له ، ولا يستغفر له ، ولا يصلى خلفه ، ولا ينكح ، ولا يدفن في مقابر المسلمين ، ونحو ذلك ، وهذا ما ورد عن أئمة السلف في الجهمية والرافضة قال الإمام البخاري : « وسئل عبد الله بن إدريس عن الصلاة خلف ، أهل البدع فقال : لم يزل في الناس إذا كان فيهم مرض أو عدل ، فصل خلفه » ، قلت : فالجهمية؟ قال : « لا ، هذه من المقاتل ، هؤلاء لا يصلى خلفهم ، ولا يناكحون ، وعليهم التوبة » . وقال أيضًا : « ما أبالي صليت خلف الجهمي الرافضي أم صليت خلف اليهود والنصارى ، ولا يسلم عليهم ، ولا يعادون ، ولا يناكحون ، ولا يشهدون ، ولا تؤكل ذبائحهم »

وأما من كانت بدعته بدعة مفسدة ، أو غير مكفرة ، فهذا إن كان داعية إلى بدعته ، أو مظهرها لها ، فلا تقبل روايته ، ويهجر ، ويؤدب ويعاقب من طرف الحاكم ، لكن يصلى عليه إذا مات ، ويستغفر له ، ويدفن في مقابر المسلمين ، ونحو ذلك ، فيعامل معاملة أصحاب الكبائر من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وأما إن لم يكن داعية إلى بدعته ، وكان مستترا بها ، فهذا يعامل معاملة المسلمين في الظاهر .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد ذكره لما ورد عن النبي من هجر كعب بن مالك : (فبهذا ونحوه رأى المسلمون أن يهجروا من ظهرت عليه علامات الزيغ من المظهرين للبدع الداعين إليها والمظهرين للكبائر فأما من كان مستترا بمعصية أو مسرا لبدعة غير مكفرة فإن هذا لا يهجر وإنما يهجر الداعي إلى البدعة؛ إذ الهجر نوع من العقوبة وإنما يعاقب من أظهر المعصية قولاً أو عملاً. وأما من أظهر لنا خيراً فإننا نقبل علانيته ونكل سريرته إلى الله تعالى فإن غايته أن يكون بمنزلة المنافقين الذين كان النبي صلى الله عليه وسلم يقبل علانيتهم ويكل سرائرهم إلى الله لما جاءوا إليه عام تبوك يحلفون ويعتذرون. ولهذا كان الإمام أحمد وأكثر من قبله وبعده من الأئمة: كمالك وغيره لا يقبلون رواية الداعي إلى بدعة ولا يجالسونه بخلاف الساكت وقد أخرج أصحاب الصحيح عن جماعات ممن رمي ببدعة من الساكتين ولم يخرجوا عن الدعاة إلى البدع).

وينبغي أن يعلم أن هجر المبتدع المسلم يختلف باختلاف الأحوال فقد يكون في حال الهجران هو المشروع ، وقد يكون في حال آخر التأليف هو المشروع.

قال شيخ الإسلام : (وإذا عرف أن هذا هو من باب العقوبات الشرعية علم أنه يختلف باختلاف الأحوال من قلة البدعة ، وكثرتها ، وظهور السنة ، وخفائها ، وأن المشروع قد يكون هو التأليف تارة ، والهجران أخرى ، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتألف أقواماً من المشركين ممن هو حديث عهد بالإسلام ، ومن يخاف عليه الفتنة ، فيعطي المؤلفة قلوبهم ما لا يعطي غيرهم .

قال في الحديث الصحيح : «إني أعطي رجلاً ، وأدع رجلاً ، والذي أدع أحب إلي من الذي أعطي ، أعطي رجلاً لما جعل الله في قلوبهم من الهلع ، والجزع ، وأدع رجلاً لما جعل الله في قلوبهم من الغنى ، والخير ، منهم عمرو بن تغلب .»

وكان يهجر بعض المؤمنين، كما هجر الثلاثة الذين خلفوا في غزوة تبوك ؛ لأن المقصود دعوة الخلق إلى طاعة الله بأقوم طريق، فيستعمل الرغبة حيث تكون أصلح، والرغبة حيث تكون أصلح)

المسألة الثالثة عشرة أهم المؤلفات في علم الفرق قديماً وحديثاً

المؤلفات قديماً:

- ١- الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي .
- ٢- الملل والنحل للشهرستاني
- ٣- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي
- ٤- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين للأشعري .
- ٥- الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم .
- ٦- رسالة في الرد على الرافضة ، لأبي حامد محمد المقدسي

المؤلفات حديثاً :

١. الشيعة والتشيع للشيخ إحسان إلهي ظهير .
- ٢ - دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين (الخوارج والشيعة) د . فهد أحمد جلي
- ٣-رسائل ودراسات في الأهواء والافتراق والبدع د . ناصر بن عبد الكريم العقل
- ٤ - الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها د . غالب بن علي عواجي .
- ٥-فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها د . غالب بن علي عواجي
- ٦- المباحث العقديّة في حديث افتراق الأمم . د . أحمد سردار

دراسة الفرق

أولاً: فرقة الخوارج

١- تعريف الخوارج .

الخوارج في اللغة : الخوارج جمع خارج وهو اسم فاعل مشتق من الخروج، والخروج نقيض الدخول والخارجي: الذي يُخْرَجُ وَيَشْرَفُ بنفسه، من غير أن يكون له قدسٌ وقيل الخارجِيُّ كل ما فاق جنسه ونظائره فالمعنى في اللغة يدور حول الظهور والبروز من غير أن يكون له أصل سابق، وهذا المعنى يتناسب تماما مع الخوارج، لأنهم خرجوا وظهروا على المسلمين بعقيدة ومنهج لم يكن لهم فيها سلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن صحابته الكرام .

والخوارج في الاصطلاح: هم من خرج على علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد قبوله التحكيم، ويطلق على كل من خرج على الإمام الحق مطلقا، وكفر بالكبيرة أو بالمعصية.

أسماء الخوارج وسبب تلك التسميات :

للخوارج أسماء كثيرة، ، ومن تلك الأسماء:

١- الخوارج قيل سُمُّوا بذلك لخروجهم عن الدين، وقيل لخروجهم عن الجماعة، وقيل لخروجهم على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكل هذه الأسباب التي ذكرت صحيحة فالخوارج خرجوا عن الدين الصحيح الذي عليه صحابة رسول الله ، فكان من نتيجة ذلك الخروج على المسلمين وعلى إمامهم.

٢- الحرورية: سُمُّوا بذلك لأنهم نزلوا حروراء وتعاقدوا عندها على قتال أهل العدل

٣- الشُّرَاة: اختلف في سبب تسميتهم فقيل: أنهم سَمَّوا أنفسهم بذلك، وقيل أن أهل السنة سَمَّوهم بذلك. قال الماوردي في سبب تسميتهم: (وَسُمُّوا شُرَاةً، وَاخْتَلَفَ فِي تَسْمِيَتِهِمْ عَلِيٌّ وَجُهَيْنٌ : أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ تَسْمِيَةٌ ذَمٌّ، سَمَّاهُمْ بِهِ أَهْلُ الْعَدْلِ ؛ لِأَنَّهُمْ شَرُّوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَحَارَبُوا جَمَاعَتَهُمْ . وَالثَّانِي: أَنَّهُ تَسْمِيَةٌ حَمْدٌ، سَمَّوْا بِهَا أَنْفُسَهُمْ ؛ لِأَنَّهُمْ شَرُّوا الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ، أَي: بِاعْوَاهَا).

٤- المارقة. سُمُّوا بذلك لما جاء عن النبي : «تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق»

رواه مسلم

٥- المحكمة: سموا بذلك لرفضهم تحكيم الحكّمين وإما لتردادهم كلمة لا حكم إلا لله

٦- النواصب. سُمّوا بذلك لمبالغتهم في نصب العداة لعليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه -.

نشأة الخوارج ، وتطور مذهبهم وأبرز أعلامهم

اختلف المؤرخون وعلماء الفرق في تحديد بدء نشأتهم وخلاصة ذلك ما يلي: -

١- أنهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم.

٢- أنهم نشأوا في عهد عثمان رضي الله عنه.

٣- أنهم نشأوا في عهد علي رضي الله عنه حين خرج عليه طلحة والزبير، كما يزعم بعض علماء الإباضية.

٤- أو حين خرج الخوارج من المحكمة عن جيشه كما هو الراجع.

٥- أنهم ظهوروا في عهد نافع بن الأزرق ابتداء من سنة ٦٤هـ، وفيما يلي مناقشة تلك الأقوال وبيان الصحيح منها:

أما بالنسبة للقول الأول، فإن المقصود به ما وقع للرسول صلى الله عليه وسلم من قيام ذي الخويصرة- عبد الله ذي الخويصرة التميمي- في إحدى الغزوات في وجه الرسول معترضاً على قسمة الرسول صلى الله عليه وسلم للفيء، وأنه لم يعدل -حاشاه- في قسمتها.

وقد قال بهذا القول كثير من العلماء منهم: الشهرستاني وابن حزم وابن الجوزي، والآجري، إلا أنه ينبغي التفريق بين بدء نزعة الخروج على صورة ما، وظهور الخوارج كفرقة لها آراء وتجمع قوي. فذو الخويصرة لا يعتبر في الحقيقة زعيماً للخوارج، لأن فعلته حادثة فردية- تقع للحكام كثيراً- ولم يكن له حزب يتزعمه ولا كان مدفوعاً من أحد- إلا طمعه وسوء أدبه مع الرسول صلى الله عليه وسلم، ومع هذا فيمكن القول بأن نزعة الخروج قد بدأت بذرتها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأما بالنسبة للقول الثاني، فهو رأي لبعض العلماء أيضاً كابن كثير وابن أبي العز ، ولكن يرد على هذا أن أولئك الثوار البغاة كان هدفهم قتل عثمان وأخذ المال، ولا ينطبق عليهم وصف فرقة ذات طابع عقائدي خاص، ولهذا اندمجوا مع

المسلمين بعد تنفيذ جريمتهم ولم يشكّلوا فرقة مستقلة - وإن كان فعلهم يعتبر خروجاً عن الطاعة وخروجاً على الإمام - إلا أنهم ليسوا هم الخوارج كفرقة عقائدية سياسية لما تقدم.

وأما بالنسبة للقول الثالث؛ وهو للورجلاني الإباضي، فإنه قول مردود؛ فإن طلحة والزبير رضي الله عنهما لا يصح وصفهما بالخوارج ولا ينطبق عليهما وصف الخوارج كفرقة، وكان معهما أيضاً أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وقد شهد الله لها بالإيمان، وطلحة الزبير رضي الله عنهما من العشرة المبشرين بالجنة .

وأما بالنسبة للقول بأن نشأتهم تبدأ من قيام نافع بن الأزرق؛ فإنه لم يقل به غير من ذكرنا من علماء الإباضية ؛ لنفيهم وجود صلة ما بين المحكمة ومن ثار على طريقتهم وبين الأزارقة بعدهم، وهو قول غير مقبول لوجود تسلسل الأحداث وارتباطها من المحكمة إلى ظهور نافع بن الأزرق.

والحاصل أن الخوارج بالمعنى الصحيح اسم يطلق على تلك الطائفة ذات الاتجاه السياسي والآراء الخاصة، والتي خرجت عن جيش الإمام علي رضي الله عنه والتحموا معه في معركة النهروان الشهيرة .

والخوارج الأوائل كانت بدعتهم كانت بدعتهم في سوء فهمهم للقرآن؛ ولم يقصدوا معارضته، حيث فهموا من القرآن ما لم يدل عليه، فظنوا أنه يوجب تكفير أرباب الذنوب، إذ المؤمن هو البر والتقوي، فقالوا: فمن لم يكن براً تقياً فهو كافر، وهو مخلد في النار؛ ثم قالوا: وعثمان وعلي ومن والاهما ليسوا بمؤمنين لأنهم حكموا بغير ما أنزل الله.

وأما تعطيل الله عن صفاته فلم يكن له وجود في ذلك العصر وهو عصر الصحابة وكبار التابعين، وإنما تأخر ظهوره إلى أواخر عصر التابعين من أوائل المائة الثانية لما ظهر "الجعد بن درهم" وصاحبه "الجهم بن صفوان" ومن تبعهما من المعتزلة وغيرهم على إنكار الصفات ، وقد تبع بعد ذلك الخوارج المعتزلة فأنكروا الصفات ولم يشبهوها لله عز وجل، قال أبو الحسن الأشعري في كتابه المقالات: (فأما التوحيد فإن قول الخوارج فيه كقول المعتزلة))

أبرز أعلام الخوارج

- ١- عبد الله بن وهب الراسبي كان مع علي بن أبي طالب في حروبه، ثم لما وقع التحكيم أنكره الخوارج وأمروا عليهم عبد الله بن وهب الراسبي، وقتل مع من قتل في النهروان سنة : ٣٧ هـ
- ٢- حرقوص بن زهير السعدي، شهد مع علي -رضي الله عنه - صفين ثم صار من الخوارج ومن أشدهم على علي بن أبي طالب، وكان مع الخوارج الذين قاتلهم علي فقتل يومئذ سنة : ٣٧ هـ
- ٣- نافع بن الأزرق بن قيس الحنفي البكري الوائلي، الحروري، أبو راشد، رأس الأزارقة وإليه نسبتهم، كان أمير قومه

وفقيهم من أهل البصرة، خرج على الناس في أواخر دولة يزيد بن معاوية، قتل سنة : ٦٥ هـ.

٤ - أبو فديك عبد الله بن ثور من بني قيس بن ثعلبة الخارجي، كان من أتباع نافع بن الأزرق رئيس الخوارج، ثم صار أميراً عليهم في مدة ابن الزبير، وكان الخوارج متغلبين على البحرين وما والاها، فأمر عبد الملك بن مروان عمر بن عبيد الله بن معمر أن يندب الناس مع أهل الكوفة والبصرة ويسير إلى قتاله، فسار معه عشرة آلاف، فحصل بينهم قتال شديد، وتمكن أصحاب عمر بن عبيد الله من دخول عسكر الخوارج فاستباحوا عسكرهم وقتلوا قائدهم أبا فديك وستة آلاف من أصحابه، وذلك في سنة: ٧٣ هـ.

٥ - عطية بن الأسود اليمامي الحنفي، من بني حنيفة، من علماء الخوارج وأمرائهم، كان مع نافع بن الأزرق، ثم فارقه بسبب تكفير القعدة، ثم انصرف إلى نجدة بن عامر ثم فارقه بسبب أنه يرى الجهل بالشريعة عذراً، ثم فارقه فاتجه إلى سجستان

٦ - نجدة بن عويمر وهو عامر الحنفي الخارج باليمامة، وكان رأساً ذا مقالة مفردة، وتسمى بأمر المؤمنين، وأقام نحو خمس سنين وعماله بالبحرين واليمامة وعمان وهجر وبعض أرض العرض، ثم نقم عليه أصحابه بعض الأمور التي أدت إلى قتله في سنة : ٧٠ هـ

٧ - عبد الله بن إباح رئيس فرقة الإباضية، المقاعسي المري التميمي، من بني مرة بن عبيد بن مقاعس، كان معاصراً لمعاوية رضي الله عنه، وعاش إلى أواخر أيام عبد الملك بن مروان، وكانت وفاته عام : ٨٦ هـ.

٨ - زياد بن الأصفر رئيس فرقة الصفرية وهي من فرق الخوارج الرئيسية

٩ - أبو بيهس الهيصم بن جابر وهو أحد بني سعد بن ضبيعة رئيس البيهسيّة، وقد كان الحجاج طلبه أيام الوليد، فهرب إلى المدينة فطلبه بها عثمان بن حيان المزني فظفر به وحبس، وكان يسامره إلى أن ورد كتاب الوليد بأن يقطع يديه ورجليه ثم يقتله ففعل به ذلك

١٠ - شبيب بن يزيد بن أبي نعيم الخارج في خلافة عبد الملك بن مروان، وصاحب الحروب العظيمة مع الحجاج بن يوسف الثقفي توفي سنة: ٧٧ هـ.

١١ - عبد الكريم بن عجرد رئيس فرقة العجاردة وهي من فرق الخوارج الرئيسية

١٢ - ثعلبة بن عامر رئيس فرقة الثعلبية وهي من فرق الخوارج الرئيسية

١٣ - الضحاك بن قيس الشيباني، زعيم حروري، خرج مع سعيد بهدل سنة : ١٢٦ هـ، في مائتين من حرورية الجزيرة، ومات سعيد سنة : ١٢٧ هـ. فخلفه الضحاك، واجتمعت عليه الصفرية حتى صار في أربعة آلاف، فسار إلى العراق

واستولى على الكوفة، وصالحه أهل واسط، واحتل الموصل وأصبح عدد جيشه مائة ألف فقصدته الخليفة مروان بن عبد الملك، فالتقى بنواحي كفرتوثا، فقتل فيها سنة: ١٢٩هـ.

فرق الخوارج وأماكن وجودهم في العصر الحاضر : الخوارج افرقوا إلى عدة فرق ، وأهم هذه الفرق

هي :

الفرقة الأولى : المُحَكِّمَة : وهم الذين خرجوا على علي رضي الله عنه عند التحكيم فكفروه وكفروا كل من رضي بالتحكيم ، وقالوا لا حكم إلا لله .

قال الآمدي في بيان عقائدهم: (وهم مجمعون على تجويز الإمامة في غير قريش، وأن كل من نصبوه برأيهم وعاشر الناس بالعدل، واجتناب الجور؛ كان إماما، وإن غير السيرة، وعدل عن الحق، وجب عزله أو قتله، وجوزوا أن لا يكون في العالم، إمام أصلا، وأجمعوا أيضا على تخطئة عليّ في التحكيم، وتكفيره؛ وتكفير عثمان وأكثر الصحابة، وتكفير مرتكب الكبيرة)

الفرقة الثانية: الأزارقة: وهم أتباع رجل منهم يقال له أبو راشد نافع بن الأزرق الحنفي ، ولم يكن للخوارج قوم أكثر منهم عددا، وأشد منهم شوكة .

قال المقرئ في بيان عقائد هذه الفرقة: (وهم على التبزي من عثمان وعليّ والطعن عليهما، وأن دار مخالفيهم دار كفر، وأن من أقام بدار الكفر فهو كافر، وأن أطفال مخالفيهم في النار، ويحل قتلهم، وأنكروا رجم الزاني وقالوا: من قذف محصنة حدّ، ومن قذف محصناً لا يحد، ويُقطع السارق في القليل والكثير).

الفرقة الثالثة: النَّجْدَاتُ : أتباع نجدة بن عويمر، وهو عامر الحنفيّ الخارج باليمامة، وكان رأساً ذا مقالة مفردة، وتسمّى بأمير المؤمنين .

قال الشهرستاني في بيان عقائدهم: (استحل نجدة بن عامر دماء أهل العهد والذمة وأمواهم في حال التقية، وحكم بالبراءة ممن حرمها. قال: وأصحاب الحدود من موافقيه لعل الله تعالى يعفو عنهم، وإن عذبهم ففي غير النار ثم يدخلهم الجنة، فلا تجوز البراءة عنهم. قال: ومن نظر نظرة أو كذب كذبة صغيرة أو وأصر عليها فهو مشرك، ومن زنى وشرب وسرق غير مصر عليه فهو غير مشرك، وغلظ على الناس في حد الخمر تغليظا شديدا.

وأجمعت النجديات على أنه لا حاجة للناس إلى إمام قط، وإنما عليهم أن يتناصفوا فيما بينهم، فإن هم رأوا أن ذلك لا يتم إلا بإمام يحملهم عليه فأقاموه (جان) .

الفرقة الرابعة: الصفرية : قال الشهرستاني: (أصحاب زياد بن الأصفر، خالفوا الأزارقة والنجديات والإباضية في أمور

منها: أنهم لم يكفروا القعدة عن القتال إذا كانوا موافقين في الدين والاعتقاد، ولم يستقوا الرجم، ولم يحكموا بقتل أطفال المشركين وتكفيرهم وتخليدهم في النار. وقالوا: التقية جائزة في القول دون العمل، وقالوا: ما كان من الأعمال عليه حد واقع فلا يتعدى بأهله الاسم الذي لزمه به الحد كالزنا والسرقه والقذف فيسمى زانيا سارقا قاذفا لا كافرا مشركا، وما كان من الكبائر مما ليس فيه حد لعظم قدره مثل ترك الصلاة والفرار من الزحف فإنه يكفر بذلك. ونقل عن الضحاك منهم أنه جوز تزويج المسلمات من كفار قومهم في دار التقية دون دار العلانية).

الفرقة الخامسة: الإباضية: وهم أتباع عبد الله بن أباض خرج أيام مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، يعتقدون أن

مخالفهم كفار غير مشركين، تجوز مناكحتهم، وتحرم أموالهم ودماؤهم إلا في الحرب، ويعتبرون دار مخالفهم دار توحيد، إلا عسكر السلطان فإنه دار كفر، وقالوا في مرتكبي الكبائر: إنهم موحدون لا مؤمنون.

هذه أشهر فرق الخوارج المحكمة والأزارقة والنجديات والصفرية والإباضية، ولا وجود لأسماء هذه الفرق في زماننا إلا الإباضية فلا يزال لهم وجود في وقتنا الحاضر، ووجودهم الآن يتمثل في دولة عمان بأكملها، وحضرموت، وجنوب الجزائر في وادي ميزاب، وجنوب تونس، وشمال ليبيا في جبل نفوسة .

الأصول العقدية العامة للخوارج مع بيان بطلانها : الأصول العقدية التي اتفق عليها الخوارج هي:

١- تكفيرهم لبعض الصحابة .

٢- تكفيرهم أصحاب الذنوب.

٣- إيجابهم الخلود في النار لأصحاب الكبائر، وإنكارهم الشفاعة لهم. ٤- الخروج على الإمام .

وهناك عقائد أخرى للخوارج اتفقوا عليها بعد سلوكهم مسلك المعتزلة في التوحيد، ومن تلك العقائد:

١- نفي الصفات عن الله . ٢- إنكار رؤية الله في الآخرة ٣- القول بأن القرآن مخلوق، وإليك بيان عقائد الخوارج في

تلك المسائل وبيان بطلانها

١- تكفيرهم لبعض الصحابة: الخوارج يطعنون في كثير من الصحابة ويتبرؤون منهم ولا يتولون منهم إلا القليل،

فالخلفاء الراشدون يجوبون منهم أبا بكر وعمر -رضي الله عنهما- ويتولونهما ويقولون بإمامتهما، وأما عثمان رضي الله عنه فكانوا يتولونه في أول خلافته ثم ادعوا أنه أحدث أحداثا تبرؤوا منه من أجلها، وكذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه كانوا يتولونه قبل قبوله التحكيم بينه وبين معاوية رضي الله عنه، فلما قبل بذلك تبرؤوا منه وكفروه، قال أبو المظفر

الإسفرائيني في بيان عقيدة الخوارج في الصحابة : (يزعمون أن عليًا، وعثمان، وأصحاب الجمل، والحكمين، وكل من رضي بالحكمين كفروا كلهم)).

الرد عليهم : أن الله أثنى عليهم ونص على عدالتهم والرضا عنهم في آيات كثيرة جلية واضحة، فمن ذلك قوله : {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} وقوله: {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا} . وكان عددهم أكثر من ألف وأربعمائة، بايعوه لما صدده المشركون عن العمرة

٢- وأما الأدلة من السنة على عدالتهم فكثيرة جدا، فمن ذلك : قوله صلى الله عليه وسلم: "لا تسبوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي، فو الذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه" متفق عليه . قال شيخ الإسلام : (قد ثبت بالنصوص الصحيحة أن عثمان وعليًا وطلحة والزبير وعائشة من أهل الجنة. بل قد ثبت في الصحيح " {أنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة} . وأبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان هم من الصحابة ولهم فضائل ومحاسن. وما يحكى عنهم كثير منه كذب؛ والصدق منه إن كانوا فيه مجتهدين: فاجتهد إذا أصاب فله أجران وإذا أخطأ فله أجر وخطؤه يغفر له)

٢- تكفيرهم أصحاب الذنوب: اختلف حكم الخوارج على أهل الذنوب، وحاصل الخلاف نوجزه فيما يلي:

١- الحكم بتكفير العصاة كفر ملة، وأنهم خارجون عن الإسلام ومخلدون في النار مع سائر الكفار. وهذا رأي أكثرية الخوارج.

٢- أنهم كفار نعمة وليس كفار ملة: وعلى هذا المعتقد فرقة الإباضية كما تقدم. ومع هذا فإنهم يحكمون على صاحب المعصية بالنار إذا مات عليها، ويحكمون عليه في الدنيا بأنه منافق، ويجعلون النفاق مرادفًا لكفر النعمة ويسمونه منزلة بين المنزلتين أي بين الشرك والإيمان، وأن النفاق لا يكون إلا في الأفعال لا في الاعتقاد أدلة الخوارج على التكفير : تلمس الخوارج لما ذهبوا إليه من تكفير أهل الذنوب بعض الآيات والأحاديث وتكلفوا في رد معانيها إلى ما زعموه من تأييدها لمذاهبهم وهي نصوص تقسم الناس إلى فريقين: مؤمن وكافر، قالوا: وليس وراء ذلك الحصر من شيء. ونأخذ من تلك الأدلة قوله تعالى:

١- {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ}. سورة التغابن: الآية (٢)

٢- { وَمَنْ لَمْ يَخُكْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ } سورة المائدة: الآية (٤٤)

٣- { ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَافِرَ } سورة سبأ: آية (١٧) إلى غير ذلك من الآيات.

وجه استدلالهم بالآية الأولى: أن الله تعالى حصر الناس في قسمين: قسم ممدوح وهم المؤمنون وقسم مذموم وهم

الكفار، والفساق ليسوا من المؤمنين، فإذا هم كفار لكونهم مع القسم المذموم

الرد عليهم: أن استدلالهم أن الناس ينحصرون فقط في الإيمان أو الكفر لا يسلم لهم ، فهناك قسم ثالث وهم العصاة

لم يذكروه هنا، وذكر فريقين لا يدل على نفي ما عدهما والآية كذلك واردة على سبيل التبعية بمن، أي بعضكم كافر

وبعضكم مؤمن. وهذا لا شك في وقوعه ولم تدل الآية على مدعى الخوارج أن أهل الذنوب داخلون في الكفر.

وأما وجه استدلالهم بالآية الثانية: قالوا: أن كل من لم يحكم بما أنزل الله فإنه كافر، لأن الحكم بغير ما أنزل الله

كبيرة وكل كبيرة كفر.

الرد عليهم: أن الحكم بغير حكم الله منه ما يكون كفرًا أكبر ، ومنه ما يكون كفرًا أصغر ، فيكون الحكم بغير حكم

الله كفرًا أكبر في الأحوال التالية:

١- أن يعتقد أن الحكم بغير الله أنفع للعباد من حكم الله

٢- أن يعتقد جواز الحكم بغير حكم الله

٣- أن يعتقد أن الحكم بغير حكم الله مساو لحكم الله

ويكون الحكم بغير الله كفرًا أصغر فيمن كان مقرًا بوجوبه لكن حكم لهوى في نفسه كأن يحكم بغير حكم الله محاباة

للمحكوم له، أو مراعاة لرشوة ، أو نحو ذلك من أغراض الدنيا فهذا يكون كفرًا أصغر

وأما وجه استدلالهم بالآية الثالثة. فهو أن صاحب الكبيرة لا بد وأن يجازي - على مذهبهم - وقد أخبر القرآن أنه

لا يجازى إلا الكفور. والفسق ثبتت مجازاته عندهم فيكون كافرًا.

وهذا الدليل مردود عليهم، وينقضه أن الله يجازي الأنبياء والمؤمنين وهم ليسوا كفارًا، وبأن الآية كانت تعقيباً لبيان

ذلك العقاب الذي حل بأهل سبأ، وهو عقاب الاستئصال، وهذا ثابت للكفار لا لأصحاب المعاصي.

وأما ما استدلوا به من السنة على بدعتهم في تكفير العصاة من المسلمين فقد أساءوا فهم الأحاديث

وحملوها المعاني التي يريدونها، ومن تلك الأحاديث ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

أنه قال: ((لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبه يرفع الناس إليه أبصارهم وهو مؤمن)) متفق عليه ، ولهم أدلة أخرى نكتفي منها بهذا الحديث.

فقد فهموا من هذا الحديث نفي الإيمان بالكلية عن من فعل شيئاً مما ذكر في الحديث، وهذا لا حجة لهم فيه، فإن الحديث - كما يذكر العلماء - إما أن يكون وارداً فيمن فعل شيئاً مما ذكر مستحلاً لتلك الذنوب أو أن المراد به نفي كمال الإيمان عنهم، أو أن نفي الإيمان عنهم مقيد بحال موافقتهم لتلك الذنوب. ولو كانت تلك الكبائر تخرج الشخص عن الإيمان لما اكتفى بإقامة الحد فيها.

وقد جاء في حديث أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: ((ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة. قلت وإن زني وإن سرق ثلاثاً ثم قال في الرابعة: على رغم أنف أبي ذر) رواه مسلم

٣- إيجابهم الخلود في النار لأصحاب الكبائر ، وإنكارهم الشفاعة لهم: لما حكم الخوارج على أهل

الكبائر بالكفر والخروج عن ملة الإسلام ، حكموا عليهم بالخلود في النار ، وعدم الخروج منها بشفاعة أو غيرها، قال شيخ الإسلام : (وعند الخوارج والمعتزلة أنه لا يشفع لأهل الكبائر، لأن الكبائر عندهم لا تغفر ولا يخرجون من النار بعد أن يدخلوها لا بشفاعة ولا بغيرها).

وقال البغدادي: (أنكرت الخوارج والقدرية الشفاعة في أهل الذنوب).

أدلة الخوارج على نفي الشفاعة لأهل الكبائر : أبرز ما استدلووا به ما يلي :

١- الآيات التي نفت الشفاعة مثل: قوله تعالى: {فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ} ، وقوله تعالى: { مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ }

الرد عليهم : أن الآيات خاصة بالكفار، ولا يدخل فيها أصحاب الكبائر من المسلمين.

٢- آيات فهموا منها نفي الشفاعة عن مرتكب الكبيرة مثل قوله تعالى: {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى }

الرد عليهم : أن البيهقي -رحمه الله - رد على الخوارج استدلالهم بهذه الآية بما رواه بسنده عن جابر بن عبد الله، أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قول الله عز وجل: « {ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون} »

فقال صلى الله عليه وسلم: «إن شفاعةي لأهل الكبائر من أمتي»

٣- ما رواه الحسن البصري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا تنال الشفاعة أهل الكبائر من أمتي»

الرد عليهم : أن الحديث لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو من أكاذيب المعتزلة التي أرادوا بها دفع ما ثبت

في كتب السنة، قال العمراني: (هذا خبر لم يذكره أحد من أئمة الحديث، ولا ذكر في شيء من الأصول المشهورة في الأمصار كمسلم، والبخاري، وسنن أبي داود والترمذي والآجري، وإنما ذكرته المعتزلة ليرو أتباعهم أن معهم رواية يعارضون بها الأخبار المشهورة عند أهل السنة)

٤- استدلو بالأدلة المشعرة بخلود الفساق، قالوا لو كانت شفاعاة لما كان خلودا.

والأدلة التي استدلو بها مثل قوله تعالى : { وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا }

أجاب العلماء عن ذلك بما يلي :

١- أن الله عز وجل ذكر الخلود بغير تأييد، فيكون المراد بالخلود المكث الطويل

٢- أن هذا الوعيد لمن استحله القتل

٣- أن هذا جزاؤه إن جزاه غير أنه لا يخلد في النار، وقد يعفو عنه ولا يجازيه

والحاصل من ذلك أن القاتل المسلم إن دخل النار لا يخلد فيها ، لأنه قد تواردت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنه يخرج من النار من كان في قلبه أدنى ذرة من إيمان

٤- الخروج على الإمام : يرى الخوارج وجوب الخروج على الإمام الجائر وقتاله بالسيف ، قال أبو الحسن الأشعري:

(وأما السيف فإن الخوارج تقول به وتراه، إلا إن الإباضية لا ترى اعتراض الناس بالسيف، ولكنهم يرون إزالة أئمة الجور ومنعهم من أن يكونوا أئمة بأي شيء قدروا عليه بالسيف أو بغير السيف).

وقال الشهرستاني: (وكل من نصبوه برأيهم وعاشر الناس على ما مثلوا له من العدل واجتناب الجور كان إماما، ومن خرج عليه يجب نصب القتال معه، وإن غير السيرة وعدل عن الحق وجب عزله أو قتله).

الرد عليهم : أن ما ذهب إليه الخوارج من الخروج على الإمام الجائر أمر باطل ، مخالف لما دلت عليه النصوص الشرعية

من وجوب الصبر على الإمام وعدم الخروج عليه فمن ذلك :

عن عبد الله بن مسعود عن النبي قال: «إنكم سترون بعدي أثره، وأمورا تنكرونها» قلنا: فما تأمرنا يا رسول الله ؟ قال:

«أعطهم حقهم الذي جعل الله لهم، وسلوا الله حقكم» رواه البخاري

وعن نافع قال: جاء عبد الله بن عمر إلى عبد الله بن مطيع حين كان من أمر الحرة ما كان زمن يزيد بن معاوية، فقال:

اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة، فقال: إني لم آتكم لأجلس، أتيتك لأحدثك حديثا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقوله، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية» رواه مسلم

وعن ابن عباس عن النبي قال: «من كره من أميره شيئاً فليصبر، فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية» رواه مسلم

قال النووي: (وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين، وإن كانوا فسقة ظالمين، وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته، وأجمع أهل السنة أنه لا ينزل السلطان بالفسق)

٥- تأويل صفات الله تعالى: سلك الخوارج مسلك المعتزلة فنفوا الصفات عن الله عز وجل لأن إثباتها يستلزم

التشبيه عندهم ، قال أبو الحسن الأشعري: (فأما التوحيد فإن قول الخوارج فيه كقول المعتزلة)

الرد عليهم: أن الله تعالى أثبت لنفسه الصفات إجمالاً وتفصيلاً مع نفي المماثلة فقال تعالى: {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ}

[النحل: ٦٠] . وقال: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى: ١١] . وهذا يدل على أن إثبات الصفات لا يستلزم التمثيل، ولو كان يستلزم التمثيل لكان كلام الله متناقضاً.

٦- القول بخلق القرآن: قال الأشعري: (والخوارج جميعاً يقولون بخلق القرآن) .

الرد عليهم : أن نصوص القرآن والسنة دالة دلالة واضحة على أن القرآن كلام الله وليس بمخلوق فمن ذلك ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنه سلسلة على صفوانٍ». قال: «فإذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم؟ قالوا الحق وهو العلي الكبير

وجه الدلالة من الحديث أن الملائكة لما ذهب عنهم الفرع قالوا: ماذا قال ربكم، ولم يقولوا ماذا خلق ربكم، ولو كان كلام الله مخلوقاً لقالوا ماذا خلق ربكم

٧- إنكار رؤية الله في الآخرة: قال الأشعري (قالت المعتزلة والخوارج وطوائف من المرجئة وطوائف من الزيدية : إن

الله لا يرى بالأبصار في الدنيا والآخرة ولا يجوز ذلك عليه) .

الرد عليهم: أن نصوص الكتاب والسنة دلت على أن المؤمنين يرون ربه يوم القيامة عياناً بأبصارهم كما يرون الشمس

صحواً ليس دونها سحاب، وكما يرون القمر ليلة البدر، لا يُضَامُونَ في رؤيته، قال صلى الله عليه وسلم «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ

رَبَّكُمْ؛ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ؛ فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَصَلَاةٍ

قَبْلَ غُرُوبِهَا؛ فَافْعَلُوا» . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

التعريف بالأباضية: الأباضية : إحدى الفرق الأربع الكبرى من فرق الخوارج ، وهي الأزارقة ، والنجدات ، والصفيرية ، والأباضية .

١- سبب تسميتها بالأباضية : وسميت (الأباضية) نسبة إلى عبد الله بن أباض ، أحد بني مرة بن عبيد ، من بني تميم ، رهط الأحنف بن قيس ، وابن أباض يعد من طبقة التابعين ، ولم تذكر المصادر الموثوقة تاريخ وفاته وولادته ، لكنها تجمع على أنه عاصر عبد الملك بن مروان ، المتوفى سنة (٨٦ هـ) ، وأنه أحد رؤوس الخوارج . وقد أجمعت الأباضية قديماً وحديثاً على إمامته فيهم وانتسابهم إليه .

٢- أصول الإباضية ومصادره: الإباضية في أصولها العقدية فرع عن الخوارج، وتلتقي معهم في أغلب أصولهم، وخلافهم مع الخوارج كان في موقفهم من مخالفيهم من أهل القبلة ، وحكم الإقامة معهم ومتى يكون قتالهم، وأحكامهم في السلم والحرب.

٣- مصدر التلقّي عندهم: مصدر التلقّي عندهم بعد القرآن هو مسند الربيع بن حبيب فهو أصح كتاب عندهم بعد القرآن، ومؤلفه الربيع بن حبيب البصري، وقد اعتنوا بهذا المسند فشرح عدة شروح، كما رُتّب على الأبواب الفقهية، فجاء في أربعة أجزاء صغيره ضمن مجلد واحد .

قال الشيخ الألباني رحمه الله : (والربيع بن حبيب - وهو الفراهيدي البصري - إباضي مجهول ليس له ذكر في كتب أئمتنا، ومسنده هذا هو " صحيح الإباضية " ! وهو مليء بالأحاديث الواهية والمنكرة)

٤- علاقة الإباضية بالخوارج : اتفقت كلمة علماء الفرق -الأشعري فمن بعده- على عد الإباضية فرقة من فرق الخوارج، وليس المخالفون للإباضية فقط هم الذين اعتبروهم في عداد الخوارج، وإنما بعض علماء الإباضية المتقدمون أيضاً؛ إذ لا يوجد في كلامهم ما يدل على كراهيتهم لعد الإباضية فرقة من الخوارج. وبعض الأباضية المتأخرين عبثاً وتكلفاً حاول أن يخرج الأباضية من الخوارج ، وهذه مغالطة لا يقرهم عليها أحد من أهل العلم ، بل إن الأباضية أنفسهم يعتقدون ويقولون ويؤرخون لدعوتهم بما يعطينا الأدلة القاطعة بأنهم من الخوارج (القعدة) ، وإليك الدليل بإيجاز :

(أ) الأباضية يوالون الخوارج الأول (المحكمة) و (الحرورية) أهل النهروان الذين خرجوا على علي والصحابة وجماعة المسلمين ، وقتلواهم كعبد الله بن وهب الراسبي (ويعدونه إماماً) ، وبقية رؤوسهم كحرقوص ومرداس وابن حصين ، وتعزز الأباضية بإمامتهم ، وأنها أخذت عنهم الدين

وبعضهم جعل من ألقاب الإباضية في المغرب (وهبية) ، نسبة إلى عبد الله بن وهب الراسبي الحروري (ب) أن افتراق الإباضية عن بقية الخوارج كان على مسائل قليلة ، وبقيت سائر أصولهم هي أصول الخوارج ، فهم كالصفيرية ، بل إن الصفيرية والإباضية كلهم يمثلون الخوارج (القعدة) الذين قعدوا عن الخروج مع نافع بن الأزرق ، ثم انشعبت القعدة إلى شعبتين على هذا النحو ، فكانت الإباضية أكثر مسالمة للمسلمين ، وأخف نزوعاً إلى التكفير ، وأكثر ميلاً إلى التعايش مع سواهم . لكنهم لم يخضعوا لسلطة الولاية الشرعية ، وكلما قويت شوكتهم حاربوا من يليهم وقاتلوا أئمة المسلمين وجماعتهم ، كما هو واضح من تاريخهم ، الذي سطره لا سيما في شمال أفريقيا .

٥- أبرز ما خالف فيه الإباضية أهل السنة والجماعة :

- ١- مذهب السلف في الصفات إثبات ما أثبتته الله لنفسه، وما أثبتته له رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل
- أما الإباضية فهم يقولون إن صفات الله عين ذاته وأن الاسم والصفة بمعنى واحد ، وبذلك يخالفون، أهل السنة ويوافقون المعتزلة
- ٢- يؤولون صفات الله الخيرية كالاستواء والنزول والمحيء وكاليد والوجه والعين والنفس ونحوها. وهم بذلك يخالفون أهل السنة ويوافقون المتكلمين من الأشاعرة والماتريدية والجهمية
- ٣- في مسألة الرؤية: لقد تواتر في القرآن والسنة وأجمع أئمة السلف على أن رؤية المؤمنين لربهم في الجنة بأبصارهم ثابتة قاطعاً كما يليق بجلال الله تعالى
- أما الإباضية فتنكر الرؤية وهي بهذا خالفت إجماع السلف أهل السنة ، ووافقت الجهمية والمعتزلة
- ٤- ومن عقائد بعض الإباضية في كلام الله تعالى القول بخلق القرآن - بل حكم بعض علمائهم كابن جميع والورجلاني أن من لم يقل بخلق القرآن فليس منهم.
- وقد عرف المسلمون أن القول بخلقه من أبطل الباطل إلا من بقى على القول بخلقه منهم وهم قلة شاذة بالنسبة لعامة المسلمين
- ٥- اختلف الإباضيون في إثبات عذاب القبر. فذهب قسم منهم إلى انكاره موافقين بذلك سائر فرق الخوارج. وذهب قسم آخر إلى إثباته
- ومعتقد السلف جميعاً هو القول بثبوت عذاب القبر ونعيمه كما صحت بذلك النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة ومن أنكره فليس له دليل إلا مجرد الاستبعاد ومجرد الاستبعاد ليس بدليل.

٦- وأما بالنسبة للشفاعة: فإن الإباضية يثبتونها ولكن لغير العصاة للمتقين.

ومذهب أهل السنة أن الرسول صلى الله عليه وسلم يشفع في عصاة المؤمنين أن لا يدخلوا النار ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها بعد إذن الله ورضاه وثبت أن الله يقبل شفاعته في ذلك وشفاعة الصالحين من عباده بعضهم في بعض.

٧- وافق -معظم الإباضية - السلف في حقيقة الإيمان من أنه قول باللسان واعتقاد بالجان وعمل بالأركان

٨- أما مسألة زيادة الإيمان فهم فريقان :

فريق يقول: إن الإيمان يزيد و ينقص ، والفريق الثاني يقول: الإيمان لا يزيد ولا ينقص.

٩- مسألة مرتكب الكبيرة : مذهب السلف أن أصحاب الكبائر من أهل القبلة عصاة فساق ، وأن مرتكب الكبيرة لا يكفر في الدنيا ، وفي الآخرة فهو تحت مشيئة الله إن شاء الله عذبه وإن شاء غفر له ، وإن دخل النار لا يخلد فيها ، بل يخرج منها ويدخل الجنة .

وأما الإباضية فتقول إن مرتكب الكبيرة كافر ، ويفسرون بأن معناها كفر النعمة ، ويقولون بأنه مثل كفر النفاق . وهذا في الدنيا ، وفي الآخرة يرون أن مرتكب الكبيرة وعصاة الموحدين إذا ماتوا على ذلك فهم في النار خالدين فيها أبداً ، ويرون أن كل كبيرة كفر ، والمنافق من فعل كبيرة أسرها أو أظهرها ، وعلى هذا فهم يخالفون أهل السنة في الأمرين مخالفة كبيرة .

١٠- الخروج على الإمام ، من عقيدة أهل السنة والجماعة عدم جواز الخروج على الحاكم المسلم، وإن جار وظلم ما لم يخرج عن ملة الإسلام، وحجتهم في ذلك ما ورد عن النبي من الأحاديث الكثيرة الصحيحة في المنع من ذلك، ولما يترتب على الخروج عليه من مفسد عظيمة على العباد والبلاد تفوق مفسد ظلمه وجوره.

أما الإباضية فيقولون إن الإمام إذا ارتكب كبيرة حل دمه وجاز الخروج عليه، ويرون أن الخروج على الأئمة لرفع الظلم ورد العدوان وإزالة الحاكم الظالم المفسد مشروع وواجب.

الفرق والطوائف المتأثرة بفكر الخوارج في العصر الحاضر: هناك أكثر من جماعة متأثرة بفكر الخوارج :

كجماعة التكفير والهجرة ، والإخوان المسلمين والقاعدة وداعش والنصرة، وهذه الجماعات والأحزاب والطوائف قد وافقت الخوارج القدماء في بعض أصولها، ويمكن بيان أمثلة مختصرة دالة على ذلك فيما يلي :

أولاً : موافقتهم الخوارج في التكفير بالذنب ، وما ترتب عليه من تكفير العلماء والحكام ، والطعن فيهم ، والخروج على السلطان : ومن الأمثلة على ذلك :

قال إمام بن عبد العزيز الشريف المعروف بسيد فضل وهو من القاعدة : (إن البلاد المحكومة بقوانين وضعية - كما هو

الحال في شتى بلدان المسلمين اليوم - لها أحكام خطيرة يجب أن يعلمها كل مسلم ، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة، ومن هذه الأحكام:

أ - أن حكام هذه البلاد كفار كفرة أكبر خارجون من ملة الإسلام.

ب - أن قضاة هذه البلاد كفار كفرة أكبر، وهذا يعني تحريم العمل بهذه المهنة.

ودليل كفر هؤلاء الحكام والقضاة هو قوله تعالى : { وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ }

وجماعة التكفير والهجرة يكفرون كل من ارتكب كبيرة وأصر عليها ولم يتب منها ، وكذلك يكفرون الحكام الذين لا يحكمون بما أنزل الله بإطلاق ودون تفصيل ، ويكفرون المحكومين لأنهم رضوا بذلك وتابعوهم أيضا بإطلاق ودون تفصيل ، أما العلماء فيكفروهم لأنهم لم يكفروا هؤلاء ولا أولئك، كما يكفرون كل من عرضوا عليه فكرهم فلم يقبله أو قبله ولم ينضم إلى جماعتهم وبياع إمامهم ، أما من انضم إلى جماعتهم ثم تركها فهو مرتد حلال الدم ، وعلى ذلك فالجماعات الإسلامية إذا بلغت دعوتهم ولم يتابع إمامهم فهي كافرة مارقة من الدين.

وكذلك الإخوان المسلمون يكفرون من لم يكن معهم قال علي عشاوي: (فمن أراد أن يلحق بنا فهو مسلم، ومن وقف ضدنا فقد حكم على نفسه بالكفر!). (التاريخ السري للإخوان المسلمين).

وقال المؤسس والمرشد الأول لجماعة الإخوان حسن البنا: وموقفنا من الدعوات المختلفة.. أن نزنها بميزان دعوتنا فما وافقها فمرحباً به ومن خالفها فنحن برآء منه!! (مجموع رسائل البنا).

وكفر المرشد الثاني الهضيبي ضباط الجيش المصري. (ذكره محمود عبد الحليم في كتابه (الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ)

وذكر سيد قطب في كتابه (ظلال القرآن) أن المجتمعات الإسلامية ارتدت، وأن ذاك المؤذن الذي يقول في أذانه: "الله أكبر الله أكبر" قد ارتد ورجع إلى الجاهلية الأولى.

ويقول علي عشاوي في كتابه (التنظيم السري لجماعة الإخوان المسلمين): كنت أعمل مع سيد قطب، فجاءت صلاة الجمعة، فرأيت لا يصلي مع المسلمين، فسألته: لم؟ قال: هذه التي تسميها مساجد، هي معابد الجاهلية!

وكان سيد قطب يقول عن ذبائح المسلمين: إنها بمنزلة ذبائح اليهود والنصارى).

ثانيا : موافقتهم الخوارج في تحريض الناس وتأليبهم على الخروج على حكام المسلمين ، واستباحة الدماء

قال حسن البنا : " نحن حرب على كل زعيم أو رئيس أو هيئة لا تستجيب لدعوتنا ... وستعلنها خصومة لا سلم فيها

ولا هوادة حتى يفتح الله بيننا وبين قومنا بالحق "

وقال أسامة بن لادن : " كما نؤكد على الصادقين من المسلمين أنه يجب عليهم أن يتحركوا ويحرضوا ويجيشوا الأمة في مثل هذه الأحداث العظام والأجواء الساخنة لتحرر من عبودية هذه الأنظمة الحاكمة الظالمة المرتدة المستعبدة من أمريكا وليقيموا حكم الله في الأرض ، ومن أكثر المناطق تأهلاً للتحرير ، الأردن والمغرب ونيجيريا وباكستان وبلاد الحرمين واليمن " ، وقال في شريط : " استعدوا للجهاد " : " ولا شك أن تحرير جزيرة العرب من المشركين هو كذلك فرض عين "

الشيعة :

المراد بالشيعة والتشيع :

تعريف الشيعة في اللغة : أطلقت كلمة الشيعة مراداً بها الأتباع والأنصار والأعوان والخاصة ، كما في قوله تعالى :

{ فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يُفْتِنَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَعَاثَ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ } .

وتأتي كلمة شيعة بمعنى فرقة كما في قوله تعالى : { ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا } أي من كل فرقة وجماعة وأمة .

فالشيعة والتشيع في اللغة تدور حول معنى المتابعة، والمناصرة، والموافقة بالرأي، والاجتماع على الرأي.

الشيعة اصطلاحاً : اختلف العلماء في تعريف الشيعة اصطلاحاً:

١- أنه علم بالغلبة على كل من يتولى علياً وأهل بيته. كقول الفيروز آبادي: ((وقد غلب هذا الاسم على كل من يتولى علياً وأهل بيته، حتى صار اسماً لهم خاصاً)). .

٢- هم الذين نصرروا علياً واعتقدوا إمامته نصاً، وأن خلافة من سبقه كانت ظلماً له.

٣- هم الذين فضّلوا علياً على عثمان رضي الله عنهما.

٤- الشيعة اسم لكل من فضل علياً على الخلفاء الراشدين قبله رضي الله عنهم جميعاً، ورأى أن أهل البيت أحق بالخلافة، وأن خلافة غيرهم باطلة وكلها تعريفات غير جامعة ولا مانعة إلا واحداً منها.

مناقشة تلك الأقوال :

أما التعريف الأول: فهو غير سديد، لأنه أهل السنة يتولون علياً وأهل بيته، وهم ضد الشيعة.

وأما التعريف الثاني: فينقضه ما ذهب إليه بعض الشيعة من تصحيحهم خلافة الشيخين، وتوقف بعضهم في عثمان، وتولي بعضهم له كبعض الزيدية فيما يذكر ابن حزم .

ثم أيضاً ما يبدو عليه من قصر الخلافة في علي فقط دون ذكر أهل بيته.

والتعريف الثالث غير صحيح كذلك؛ لانتقاضه بما ذهب إليه بعض الشيعة من البراءة من عثمان. كقول كُثَيِّر عزة:

برئت إلى الإله من ابن أروى ومن دين الخوارج أجمعينا

ومن عمر برئت ومن عتيق غداة دعي أمير المؤمنيننا

ويبقى الراجح من تلك التعريفات الرابع منها لضبطه تعريف الشيعة كطائفة ذات أفكار وآراء اعتقادية

نشأة التشيع وأثر عبد الله بن سبأ في ذلك : اختلفت أقوال العلماء من الشيعة وغيرهم في تحديد بدء ظهور

التشيع تبعاً لاجتهاداتهم ، وحاصل الأقوال في ذلك ما يلي :

١- أنه ظهر مبكراً في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وعلى يديه حيث كان يدعو إلى التوحيد ومشايعة علي جنباً إلى جنب، وقد تزعم هذا القول محمد حسين الزين من علماء الشيعة وغيره ، وذكره النوبختي أيضاً في فرقه ، والخميني وحسن الشيرازي.

٢- أنه ظهر في معركة الجمل حين تواجه علي وطلحة والزبير، وقد تزعم هذا القول ابن النديم .

٣- أنه ظهر يوم معركة صفين، وهو قول لبعض علماء الشيعة كالحونساري، وأبو حمزة، وأبو حاتم. كما قال به أيضاً غيرهم من العلماء، مثل ابن حزم، وأحمد أمين .

٤- أنه كان بعد مقتل الحسين رضي الله عنه، وهو قول كامل مصطفي الشيبيني وهو شيعي.

٥- أنه ظهر في آخر أيام عثمان وقوي في عهد علي .

وهذا القول هو الصواب لأن أول من أسس للتشيع هو عبد الله بن سبأ وهو رجل يهودي ، أسلم في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان -رضي الله تعالى عنه- وتظاهر بمحبة أهل البيت ، وغلا في علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وزعم أنه الوصي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولعن من غصب منه الخلافة ، وأظهر البراءة منهم ، وكفرهم ، وكفر من رضي بإمامتهم ، وزعم أن علياً سيرجع إلى الدنيا قبل يوم القيامة ليقتص من أعدائه .

وهذا ما ذكره ابن جرير الطبري في تاريخه حيث قال : (كان عبد الله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء، أمه سوداء، فأسلم

زمان عثمان، ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم، فبدأ بالحجاز، ثم البصرة، ثم الكوفة، ثم الشام، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام، فأخرجوه حتى أتى مصر، فاعتمر فيهم فقال لهم فيما يقول: لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذب بأن محمداً يرجع وقد قال الله: {إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد} ، فمحمد أحق بالرجوع من عيسى، قال: فقبل ذلك عنه، ووضع لهم الرجعة فتكلموا فيها، ثم قال لهم بعد ذلك: إنه كان ألف نبي ولكل نبي وصي، وكان عليّ وصي محمد؛ ثم قال: محمد خاتم الأنبياء، وعلي خاتم الأوصياء. ثم قال لهم بعد ذلك: من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ووثب على وصي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتناول أمر الأمة. ثم قال لهم بعد ذلك: إن عثمان أخذها بغير حق، وهذا وصي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فانهضوا في هذا الأمر فحركوه، وابدؤوا الطعن على أمرائكم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تستميلوا الناس وادعوهم إلى هذا الأمر، فبث دعائه وكتابه من كان استفسده في الأمصار، وكتابه، ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم) .

وما زالت تلك العقائد التي دعا إليها ابن سبأ تسير في نفوس أناس من أهل الزيغ والضلال وتتشربها قلوبهم وعقولهم حتى كان من ثمارها مقتل الخليفة الراشد ذي النورين عثمان ابن عفان - رضي الله عنه - على يد هذه الشرذمة الفاسدة. حتى إذا ما جاء عهد علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - بدأت تلك العقائد تظهر إلى الوجود أكثر من ذي قبل إلى أن بلغت علياً - رضي الله عنه - فأنكرها أشد ما يكون الإنكار وتبرأ منها ومن أهلها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-: «ولما أحدثت البدع الشيعية في خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ردها، وكانت (ثلاث طوائف) غالية، وسبابة ومفضلة. فأما الغالية فإنه حرقهم بالنار، فإنه خرج ذات يوم من باب كندة فسجد له أقوام، فقال: ما هذا؟ فقالوا: أنت هو الله فاستجابهم ثلاثاً فلم يرجعوا فأمر في الثالث بأحاديدهم فخذت وأضرم فيها النار، ثم قذفهم فيها وقال:

لما رأيت الأمر أمراً منكراً... أجمت ناري ودعوت قنبرا

وفي صحيح البخاري: (أن علياً أتى بزنادقة فحرقهم وبلغ ذلك ابن عباس فقال: أما أنا فلو كنت لم أحرقتهم لنهي النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يُعذب بعذاب الله ولضربت أعناقهم لقول النبي - صلى الله عليه وسلم - من بدل دينه فاقتلوه) .

وأما السبابة: فإنه لما بلغه من سب أبا بكر وعمر طلب قتله، فهرب منه إلى قرقيسيا وكلمه فيه، وكان علي يداري أمراءه، لأنه لم يكن متمكناً ولم يكن يطيعونه في كل ما يأمرهم به. وأما المفضلة: فقال: لا أوتى بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلده حد المفتين. وروي عنه من أكثر من ثمانين وجهاً أنه قال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ... « .

ثم إن التشيع والشيعة تطور إلى أقوال كثيرة متفرقة.

تطور مذهب التشيع : كان مدلول التشيع في بدء الفتن التي وقعت في عهد علي رضي الله عنه بمعنى المناصرة والوقوف

إلى جانب علي رضي الله عنه ليأخذ حقه في الخلافة بعد الخليفة عثمان، وأن من نازعه فيها فهو مخطئ يجب رده إلى الصواب ولو بالقوة.

وكان على هذا الرأي كثير من الصحابة والتابعين، حيث رأوا أن علياً هو أحق بالخلافة من معاوية بسبب اجتماع كلمة الناس على بيعته، ولا يصح أن يفهم أن هؤلاء هم أساس الشيعة ولا أنهم أوائلهم، إذ كان هؤلاء من شيعة علي بمعنى من أنصاره وأعوانه.

ومما يذكر لهم هنا أنهم لم يكن منهم بغي على المخالفين لهم، فلم يكفروهم، ولم يعاملوهم معاملة الكفار بل يعتقدون فيهم الإسلام، وأن الخلاف بينهم لم يعد وجهة النظر في مسألة سياسية حول الخلافة وقد قيل: إن علياً كان يدفن من يجده من الفريقين دون تمييز بينهم.

وقد أثمر موقف الإمام علي هذا فيما بعد، إذ كان تنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية انطلاقةً من هذه المواقف الطيبة التي أبداهها والده رضي الله عنهما.

ولم يقف الأمر عند ذلك المفهوم من الميل إلى علي رضي الله عنه ومناصرتة، إذ انتقل نقلة أخرى تميزت بتفضيل علي رضي الله عنه على سائر الصحابة، وحينما علم علي بذلك غضب وتوعد من يفضله على الشيخين بالتعزير، وإقامة حد الفرية عليه .

وقد كان المتشيعون لعلي في هذه المرحلة معتدلين، فلم يكفروا واحداً من المخالفين لعلي رضي الله عنه ولا من الصحابة، ولم يسبوا أحداً، وإنما كان ميلهم إلى علي نتيجة عاطفة وولاء.

وقد اشتهر بهذا الموقف جماعة من أصحاب علي، قيل منهم أبو الأسود الدؤلي، وأبو سعيد يحيى بن يعمر، وسالم بن أبي حفصة، ويقال أن عبد الرزاق صاحب المصنف في الحديث، وابن السكيت على هذا الاتجاه .

ثم بدأ التشيع بعد ذلك يأخذ جانب التطرف والخروج عن الحق، وبدأ الرفض يظهر وبدأت أفكار ابن سبأ تؤي ثمارها الشريرة فأخذ هؤلاء يظهرون الشر، فيسبون الصحابة ويكفرونهم ويتبرءون منهم، ولم يستثنوا منهم إلا القليل كسلمان الفارس، وأبي ذر، والمقداد، وعمار بن ياسر، وحذيفة.

وحكموا على كل من حضر ((غدير خم)) بالكفر والردة لعدم وفائهم -فيما يزعم هؤلاء - ببيعة علي وتنفيذ وصية الرسول صلى الله عليه وسلم بعلي في غدير خم المذكور. وكان عبد الله بن سبأ هو الذي تولى كبر هذه الدعوة الممقوتة الكافرة، وقد علم علي بذلك فنجاه إلى المدائن وقال: ((لا تساكني ببلدة أبدأ)).

وأخيراً بلغ التشيع عند الغلاة إلى الخروج عن الإسلام، حيث نادى هؤلاء بألوهية علي. وقد تزعم هذه الطبقة ابن سبأ، ووجد له آذاناً صاغية عند كثير من الجهال، ومن الحاقدين على الإسلام. وقد أحرق علي رضي الله عنه بالنار كل من ثبت أنه قال بهذا الكفر

فرق الشيعة: اختلف العلماء في عدد فرق الشيعة، فالأشعري مثلاً يذكر أنهم ثلاث فرق رئيسية وهي أصول: الغالية، والرافضة الإمامية، والزيدية، وما عداها فروع.

وعبد القاهر البغدادي يرجع فرق الشيعة إلى أربع فرق: زيدية، وإمامية، وكيسانية، وغلاة.

والشهرستاني يرجعهم إلى خمس فرق: كيسانية، وزيدية، وإمامية، وغلاة، وإسماعيلية

وبالنظر إلى ما ذكره العلماء نجد أن الفرق الرئيسية للشيعة هي : ١- الكيسانية. ٢- الزيدية.

٣- الرافضة الإمامية. ٤- والغلاة

ولا حاجة إلى ذكر فروع الفرق الشيعية ؛ لأن منها ما قد انتهى من الوجود ، ومنها ما هو داخل في فرقة من الفرق الموجودة اليوم ، فقد انقرضت كثير من الفرق الشيعية التي تزيد على ثلاث وسبعين فرقة ، وورثت عقائدها طائفة الاثني عشرية ولم يبق من الفرق المنتسبة إلى التشيع في عصرنا سوى ثلاث فرق ، يقول مرجع الشيعة المعاصر محسن الأمين : « والموجود اليوم من فرق الشيعة هم : الإمامية الاثنا عشرية وهم الأكثر عددا ، والزيدية ، والإسماعيلية » ، ويقول د . علي سامي النشار : « تشمل الشيعة في عصرنا الحاضر فرقا ثلاثا هي : الاثنا عشرية ، والإسماعيلية والزيدية " وأما أماكن وجود هذه الطوائف فسوف نذكرها عند دراستها .

الأصول العامة للشيعة : إذا نظرنا في عقائد فرق الشيعة نجد أنهم يتفقون في أصول أربعة وهي الإمامة والعصمة

والمهدي والرجعة، وإليك بيانها

١- الإمامة : الشيعة يتفقون على أن الإمامة ثابتة بالنص لعلي رضي الله عنه بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، لكنهم

اختلفوا في الإمام بعد علي رضي الله عنه، فالسبئية قصرتها على علي رضي الله عنه وقالت بغيبته ورجعته، والكيسانية قالت: إن الإمام بعد علي رضي الله عنه محمد بن الحنفية، والزيدية تحصر الإمامة في أولاد فاطمة رضي الله عنها، ولم يجوزوا ثبوت الإمامة في غيرهم، إلا أنهم جوزوا أن يكون كل فاطمي عالم شجاع سخي خرج بالإمامة، أن يكون إماما واجب الطاعة، كان من أولاد الحسن، أو من أولاد الحسين رضي الله عنهما، وأما الرافضة الإمامية فقالوا إن الإمام بعد علي الحسن ثم الحسين ثم قصروها في أولاد الحسين.

٢- دعوى العصمة : السبئية يعتقدون العصمة في علي رضي الله عنه، والزيدية تقول بعصمة فاطمة وعلي والحسن

والحسين، والرافضة الإمامية ادعوا العصمة في الأئمة والأوصياء .

٣- القول بالمهدي : كل طائفة منهم لها مهدي وغائب مكتوم، وتفرقوا في هذه الخرافة طوائف متعارضة: فالمهدي

عند الكيسانية هو محمد بن الحنفية، وعند الاثني عشرية محمد بن الحسن العسكري، وعند بقية طوائفهم أئمة مهديون ينتظرون خروجهم بغتة يملأون الأرض عدلاً بزعمهم

٤- الرجعة : فكرة الإيمان بالإمام الخفي أو الغائب توجد لدى معظم فرق الشيعة، حيث تعتقد في إمامها بعد موته أنه

لم يموت، وتقول بخلوده، واختفائه عن الناس، وعودته إلى الظهور في المستقبل مهدياً، ولا تختلف هذه الفرق إلا في تحديد الإمام الذي قدرت له العودة، كما تختلف في تحديد الأئمة وأعيانهم والتي يعتبر الإمام الغائب واحداً منهم، فالسبئية قالت: إن علياً لم يقتل ولم يموت، ولا يقتل ولا يموت حتى يسوق العرب بعصاه، ويملاً الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً" ، ثم انتقلت هذه "الفكرة" من السبئية إلى بعض فرق الكيسانية كالكربية حيث قالت لما مات محمد بن الحنفية - وهو الذي تدعي أنه إمامها - : إنه حي لم يموت وهو في جبل رضوى بين مكة والمدينة عن يمينه أسد وعن يساره نمر موكلان به يحفظانه إلى أوان خروجه وقيامه ، وقالوا: إنه المهدي المنتظر ثم شاع التوقف على الإمام وانتظار عودته مهدياً بعد ذلك بين فرق الشيعة.. فبعد وفاة كل إمام من آل البيت تظهر فرقة من أتباعه تدعي فيه هذه الدعوى.. وتنتظر عودته، وتختلف فيما بينها اختلافاً شديداً في تحديد الإمام الذي وقفت عليه وقدرت له العودة - في زعمهم -

الرافضة: ١ - معنى الرافضة لغة واصطلاحاً:

الرفض في اللغة يأتي بمعنى الترك. يقال: رفض يرفض رفضاً، أي ترك.

وعرفهم أهل اللغة بقولهم: ((والروافض كل جند تركوا قائدهم)) ، هذا هو معنى الرفض في اللغة.

وأما في الاصطلاح: فإنه يطلق على تلك الطائفة ذات الأفكار والآراء الاعتقادية الذين رفضوا خلافة الشيخين وأكثر

الصحابة، وزعموا أن الخلافة في علي وذريته من بعده بنص من النبي صلى الله عليه وسلم، وأن خلافة غيرهم باطلة.

٢ - سبب تسميتهم بالرافضة:

١- قيل: إنهم سمو رافضة لرفضهم إمامة زيد بن علي، وتفرقهم عنه .

٢- وقيل: سمو رافضة لرفضهم أكثر الصحابة، ورفضهم لإمامة الشيخين .

٣- وقيل: لرفضهم الدين .

ولعل الراجح هو الثاني، ولا منافاة بينه وبين الأول، لأنهم كانوا رافضة يرفضون الشيخين وقد رفضوا زيدا كذلك إذ لم يرض مذاهبهم. أسماؤهم قبل اتصالهم بزید:

الأسماء التي أطلقت عليهم وسبب التسمية :

١- الرافضة .

٢- الخشبية: وسبب تسميتهم بالخشبية: أنهم - كما قيل - كانوا يقاتلون بالخشب ولا يجيزون القتال بالسيف إلا تحت راية إمام معصوم من آل البيت.

٣- الإمامية: وسبب تسميتهم بالإمامية: لزعمهم أن النبي صلى الله عليه وسلم نص على إمامة علي رضي الله عنه نصاً ظاهراً وبقيناً صادقاً، ولم يكتف فيه بالوصف بل صرح بالاسم لعلي ولأولاده من بعده - كما يدعي هؤلاء.

مراحل تطور الرافضة وأثر الصفويين في ذلك : الرافضة مرت في نشأتها بعدة مراحل حتى أصبحت فرقة مستقلة

متميزة بعقيدتها واسمها عن سائر فرق الأمة، ويمكن إبراز ذلك من خلال أربع مراحل رئيسية:

المرحلة الأولى: دعوة عبد الله بن سبأ إلى ما دعا إليه من الأصول التي انبنت عليها عقيدة الرافضة: كدعوته لعقيدة الرجعة وإحداثه القول بالوصية لعلي - رضي الله عنه - والظعن في الخلفاء السابقين لعلي في الخلافة.

المرحلة الثانية: إظهار هذا المعتقد، والتصريح به، وذلك بعد مقتل عثمان - رضي الله عنه - وانشغال الصحابة رضوان الله عليهم بإخماد الفتنة التي حصلت بمقتله، فوجد هؤلاء الضلال متنفساً في تلك الظروف، وقويت تلك العقائد الفاسدة في نفوسهم، إلا أنه مع كل ذلك بقيت هذه العقائد محصورة في طائفة مخصوصة ممن أضلهم ابن سبأ، وليست لهم شوكة ولا كلمة مسموعة.

المرحلة الثالثة: اشتداد أمرهم وقوتهم، واجتماعهم تحت قيادة واحدة، وذلك بعد مقتل الحسين - رضي الله عنه - للأخذ بثأر الحسين والانتقام له من أعدائه.

وكان سبب ذلك أن الشيعة ندموا على عدم مناصرة الحسين فكونوا جيشاً عدده عشرون ألفاً بقيادة سليمان بن صرد الخزاعي للأخذ بثأر الحسين، وفي هذه الأثناء قدم المختار بن أبي عبيد الثقفي إلى الكوفة «فوجد الشيعة قد التفتت على سليمان بن صرد وعظموه تعظيماً زائداً، وهم معدون للحرب، فلما استقر المختار عندهم بالكوفة دعا إلى إمامة المهدي محمد بن علي بن أبي طالب وهو محمد بن الحنفية، ولقبه بالمهدي فاتبعه على ذلك كثير من الشيعة، وفارقوا سليمان بن صرد، وصارت الشيعة فرقتين، الجمهور منهم مع سليمان، يريدون الخروج على الناس ليأخذوا بثأر الحسين، وفرقة أخرى مع المختار يريدون الخروج للدعوة إلى إمامة محمد بن الحنفية، وذلك عن غير أمر ابن الحنفية ورضاه، ثم خرج سليمان بن صرد بمن كان معه من الشيعة إلى الشام فاقتتلوا معهم قتالاً شديداً ثم انتهى القتال بينهم بقتل سليمان بن صرد رحمه الله وكثير من أصحابه، وهزمتهم، وعودة من بقي من أصحابه إلى الكوفة.

وأما المختار بن أبي عبيد: فلما رجع من بقي من جيش سليمان إلى الكوفة وأخبروه بما كان من أمرهم، وما حل بهم فترحم على سليمان ومن كان قتل معه، وقال: «وبعد فأنا الأمير المأمون قاتل الجبارين والمفسدين، إن شاء الله فأعدوا واستعدوا وأبشروا»، ثم شرع المختار يتتبع قتلة الحسين من شريف ووضع فيقتله

المرحلة الرابعة: انشقاق الرافضة عن الزيدية، وباقي فرق الشيعة، وتميزها بمسماها وعقيدتها. وكان ذلك على وجه التحديد في سنة إحدى وعشرين ومائة عندما خرج زيد بن علي بن الحسين على هشام بن عبد الملك فأظهر بعض من كان في جيشه من الشيعة الطعن على أبي بكر وعمر فمنعهم من ذلك، وأنكر عليهم فرفضوه، فسموا بالرافضة، وسميت الطائفة الباقية معه بالزيدية.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن أول ما عرف لفظ الرافضة في الإسلام: عند خروج زيد بن علي في أوائل المائة الثانية، فسئل عن أبي بكر وعمر، فتولاهما فرفضه قوم فسموا رافضة»

ومنذ ذلك التاريخ، تميزت الرافضة عن باقي فرق الشيعة، فأصبحت فرقة مستقلة باسمها ومعتقداتها والرافضة عند رفضهم لإمامة زيد جعلوا الإمام بعد علي بن الحسين ابنه محمد ثم ابنه جعفر ثم بعد جعفر حصل انشقاق في الإمامة فالرافضة قالت إن الإمام بعد جعفر هو موسى الكاظم، وقالت الإسماعيلية إن الإمام بعد جعفر هو إسماعيل بن جعفر ثم في ابنه إسماعيل ثم في محمد بن إسماعيل.. إلى آخر أئمتهم المستورين ، واستطاعت فرقة الإسماعيلية أن تكون لهم دولة في شمال إفريقيا ثم في مصر .

والرافضة قالوا إن الإمام بعد جعفر موسى بن جعفر الكاظم ثم علي بن موسى الرضي ثم محمد بن علي الجواد، ثم علي بن محمد المهادي، ثم الحسن بن علي العسكري.

ثم بعد موت الحسن العسكري حصل خلاف بين الرافضة هل كان له ولد أم لا واستقر أمرهم على القول بإمامة ابنه محمد الذي لم يولد أصلاً وقالوا إن وجوده ضروري على اعتبار أنه لا يجوز أن تخلو الأرض من حجة ، وتبع ذلك إن اعتقد الرافضة أن المهدي له غيبتان صغرى وكبرى، وأنه كان يباشر إمامته للرافضة عن طريق أربعة من السفراء مات آخرهم في سنة ٣٢٩ هـ ، وأما الغيبة الكبرى فابتدأت سنة ٣٢٩ هـ ولا تزال إل يومنا هذا وقد غلا الرافضة في أئمتهم غلواً فاحشاً فادعوا فيهم العصمة والسلامة من الذنوب والخطأ والنسيان ، وجعلوا أقوالهم بمنزلة أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم ، وألفت كتباً في ذلك ، إضافة إلى ذلك أن آراء الفرق الشيعية الغالية تسلت في تلك الكتب على شكل روايات منسوبة للأئمة مما أدى إلى دخول آراء وعقائد الفرق الشيعة القديمة في المذهب الاثني عشري.

ومرّت العصور حتى جاءت الدولة الصفوية، والتي أسسها الشاه إسماعيل الصفوي الذي فرض التشيع الاثني عشري على الإيرانيين قسراً، وجعل المذهب الرسمي لإيران، وكان إسماعيل يشيع عن نفسه أنه معصوم وليس بينه وبين المهدي فاصل، وأنه لا يتحرك إلا بمقتضى أوامر الأئمة الاثني عشر .

ولقد تقلد سيفه وأعمله في أهل السنة، وكان يتخذ سب الخلفاء الثلاثة وسيلة لامتحان الإيرانيين، فمن يسمع السب منهم يجب عليه أن يهتف قائلاً: "بيش باد كم باد" .. هذه العبارة تعني في اللغة الأذربيجانية أن السامع يوافق على السب ويطلب المزيد منه، أما إذا امتنع السامع عن النطق بهذه العبارة قطعت رقبتة حالاً، وقد أمر الشاه أن يعلن السب في

الشوارع، والأسواق وعلى المنابر منذراً المعاندين بقطع رقابهم ، وكان إذا فتح مدينة أرغم أهلها على اعتناق الرفض فوراً بقوة السلاح.

ويروى عنه أنه عندما فتح تبريز في بداية أمره وأراد فرض التشيع على أهلها بالقوة، أشار عليه بعض شيوخهم أن يترث، لأن ثلثي سكان المدينة من أهل السنة، وأنهم لا يصبرون على سب الخلفاء الثلاثة على المنابر، ولكنه أجابهم: "إذا وجدت من الناس كلمة اعتراض شهرت سيفي بعون الله فلا أبقى منهم أحداً حياً" .

ومن ناحية أخرى اتخذ مسألة قتل الحسين وسيلة للتأثير النفسي، بالإضافة إلى أسلوب التهديد والإرهاب فأمر بتنظيم الاحتفال بذكر مقتل الحسين على النحو الذي يتبع الآن عندهم . وأضاف إليه فيما يقال مجالس التعزية.

وهي التي يسمونها الآن "الشبيه" ويجرى فيها تمثيل مقتل الحسين.. فكان لهذا أثره على أولئك الأعاجم حتى رأى بعضهم أنه من أهل العوامل في نشر التشيع في إيران، لأن ما فيه من مظاهر الحزن والبكاء وما يصاحبه من كثرة الأعلام ودق الطبول وغيرها يؤدي إلى تغلغل في العقيدة في أعماق النفس والضرب على أوتارها الكامنة" .

ولقد آزر شيوخ الروافض سلاطين الصفويين في الأخذ بالتشيع إلى مراحل من الغلو وفرض ذلك على مسلمي إيران بقوة الحديد والنار.

وكان من أبرز هؤلاء الشيوخ شيخهم علي الكركي ، الذي استحدث بدءاً جديدة في التشيع، فكان منها: "التربة التي يسجد عليها الشيعة الآن في صلواتهم. وقد ألف فيها رسالة سنة (٩٣٣هـ) ، كما ألف رسالة في تجويز السجود للعبد ، وذلك مسaire للسلطان إسماعيل الصفوي الذي كان يغلو فيه أصحابه حتى إنهم يعبدونه ويسجدون له .

وكانت بدعه الكثيرة في المذهب الشيعي داعية للمصنفين من غير الشيعة إلى تلقيبه بمخترع الشيعة ثم نشأ الجيل اللاحق في جو المآتم الحسينية السنوية التي طورها الصفويون ليمتلئ الناشئ بتأثيرها حقداً وغيظاً حتى لا يكاد يستمع بسبب ذلك إلى حجة أو برهان.

وكان لكتاب المجلسي "بحار الأنوار" أثره في إشاعة الغلو بين الشيعة، حيث "جاء قراء التعزية، وخطباء المنابر فصاروا يأخذون منه ما يروق لهم وبذا ملؤوا أذهان العامة بالغلو والخرافة".

أصول مذهب الرفض وأهم عقائدهم والرد عليها : للرافضة آراء اعتقادية كثيرة لا يتسع المقام هنا لبسطها، إلا

أننا سنقتصر في دراستنا لآرائهم على أهم المسائل الاعتقادية عندهم، وهي على سبيل الإيجاز:

١- قصر استحقاق الخلافة في آل البيت. علي وذريته رضي الله عنهم، وأنها كانت بنص من النبي صلى الله عليه وسلم فيهم.

٢- دعواهم عصمة الأئمة والأوصياء.

٣- تدينهم بالتقية.

٤- دعواهم المهديّة.

٥- ودعواهم الرجعة.

٦- موقفهم من القرآن الكريم.

٧- موقفهم من الصحابة.

٨- القول بالبداء على الله تعالى.

وتوجد لهم آراء أخرى مثل دعوى النبوة في بعض من يتشيعون لهم، ومثل القول بالتناسخ والحلول، وغير ذلك، أما الآراء الاعتقادية عند الرافضة فتفصيلها كما يلي:

أولاً: موقفهم من الخلافة والإمامة: يعتبر الشيعة الإمامة وتسلسلها في آل البيت ركناً من أركان الإسلام، ويعتقدون أنها منصب ثبت من عند الله تعالى، يختار الله الإمام كما يختار الأنبياء والمرسلين.

والاثنا عشرية يحصرونها في علي وفي أولاده، ولا يصححونها في غيرهم، وفيما يلي نستعرض أهم آرائهم فيها:

١- الإمام له صلة بالله تعالى من جنس الصلة التي للأنبياء والرسل : روى الكليني عن أبي عبد الله أنه قال: ((أشرك بين

الأوصياء والرسل في الطاعة))، وروى أيضاً أن الإمام يوحى إليه كما يوحى إلى الرسول

٢- أن الإيمان بالإمام جزء من الإيمان بالله ، روى في الكافي ((روى أبو حمزة قال: قال لي جعفر ع: إنما يعبد الله من

يعرف الله، فأما من لا يعرف الله فإنما يعبد هكذا ضلالاً. قلت: جعلت فداك. فما معرفة الله؟ قال: تصديق الله عز

وجل، وتصديق رسوله -ع- وموالاة علي -ع- والائتمام به وبأئمة الهدى ع، والبراءة إلى الله عز وجل من عدوهم ...

هكذا يعرف الله عز وجل))

٣- حرفوا معاني القرآن الكريم إلى هواهم في الأئمة، ومن ذلك: تفسيرهم لقول الله عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ

في النَّاسِ { النور: الإمام علي والأئمة من بعده، كما فسره أبو عبد الله -حسب زعم الكليني إلى غير ذلك من الآيات التي فسروها بمثل هذه المعاني الباطلة في كتبهم المعتمدة، وأهمها الكافي.

٤- زعموا في الأئمة أنهم هم الذين جمعوا القرآن كله كما أنزل ولا يعترفون بغير ذلك، ووجدوا جهود الخليفة الراشد أبي بكر رضي الله عنه، وأبي بن كعب، وغيرهما من خيار الصحابة رضي الله عنهم.

٥- الأئمة عندهم اسم الله الأعظم ، وعندهم الجفر وهو وعاء من آدم - فيه علم النبيين والوصيين وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل، وعندهم مصحف فاطمة، وفيه مثل قرآننا ثلاث مرات، وليس فيه من قرآننا حرف واحد .

٦- أن الأئمة لا يموتون إلا بمشيئتهم واختيارهم

أدلتهم علي معتقدتهم في الإمامة: الرافضة حين قصروا استحقاق الخلافة في علي رضي الله عنه وفي الأئمة من بعده

تلمسوا لهم شبهاً كثيرة ودعاوى مردودة، على أن ما ذهبوا إليه هو الصواب كما يرون . نذكر منها ما يلي:

١- قالوا: إن أمر الإمامة لا يحتمل عدم البيان، والرسول صلى الله عليه وسلم بعث لرفع الخلاف، فلا يجوز أن يترك بيان الإمام الذي يليه إلى اختلافات الناس واجتهاداتهم .

٢- يستدلون ببعض الروايات الواردة في فضائل علي رضي الله عنه ومن ذلك:

أ - ((من كنت مولاه فعلي مولاه)) .

ب - ((أفضاكم علي)) .

ج - ((أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي)) زاد الرافضة في الحديث ((إنه لا ينبغي أذهب إلا وأنت خليفتي)) .

٣- استدلو ببعض الاستنباطات من وقائع يزعمون أنها كانت من النبي صلى الله عليه وسلم تشير إلى خلافة علي منها:

أ- أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يؤمر على علي أحداً من الصحابة، فحيثما انفرد عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة أو سفر كان هو الأمير

ب- أن الرسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل علياً بسورة براءة ليقراها على الناس في الحج مع أن أمير الحج هو أبو بكر رضي الله عنه حينئذ، فأرجعه كما يزعم عبد الواحد الأنصاري

الرد عليهم : أن فضائل الإمام علي مما يتباهى به أهل السنة، ويحرصون على ذكرها، إلا أنه ليس فيما ذكره الرافضة من الأخبار ما يدل صراحة على ما زعموه.

فأما قولهم: إن أمر الإمامة لا يحتمل عدم البيان، وأن الرسول بيّنه -فصحيح أن الرسول صلى الله عليه وسلم بيّنه بمقدمات كثيرة، تدل على استخلافه لأبي بكر، ومن ذلك ما جاء عن جبير بن مطعم عن أبيه قال: أتت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأمرها أن ترجع إليه. قالت: أرايت إن جئت فلم أجداك؟ كأنها تقول الموت. قال صلى الله عليه وسلم: ((إن لم تجديني فأت أبا بكر)) متفق عليه .

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((اقتدوا باللذين من بعدي: أبي بكر وعمر)) رواه الترمذي، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه: ((ادعي لي أبا بكر وأحاك حتى أكتب كتاباً، فإني أخاف أن يتمنى وتمن ويقول قائل: أنا أولى: ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر)) رواه مسلم.

وأحاديث أخرى كثيرة عرف منها الصحابة أحقية الصديق بالخلافة من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس للرافضة في دفعها إلا الكذب والبهتان، وليس معهم أي دليل عن علي رضي الله عنه ثابت يدعي فيه أن الرسول صلى الله عليه وسلم نص على استخلافه، بل إن ابن العباس عم الرسول صلى الله عليه وسلم طلب إلى علي أن يتحدث ويطلب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه ليوصي لبني هاشم بالخلافة، أو يوصي بهم الناس فأبى علي ذلك وقال: ((إننا والله لئن سألتها رسول الله فمنعناها لا يعطيناها الناس بعده، وإني والله لا أسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم)) وهذا يدل على بعد نظره وقوة فهمه رضي الله عنه، فلو كان يعلم نصاً في ذلك لما تردد في إعلانه، وقد دعت الضرورة إليه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأما استدلالهم بقوله صلى الله عليه وسلم: ((من كنت مولاه فعلي مولاه)) فجوابه: أن هذه الولاية لا تستلزم الولاية العامة بمعنى الإمارة. فقد وردت نصوص كثيرة فيها إثبات مولاة المؤمنين بعضهم لبعض في كتاب الله تعالى وسنة نبيه، وأن المؤمنين أولياء لله، وأن الله وملائكته والمؤمنين موالى رسوله.

كما أن الله ورسوله والذين آمنوا أولياء المؤمنين، وليس معناه أن من كان ولياً لآخر كان أميراً عليه دون غيره، وأنه يتصرف فيه دون سائر الناس، قال تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} وقال تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ} {وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ} .

وولاية علي رضي الله عنه واجبة على كل أحد، من جنس موالاتة المؤمنين بعضهم بعضاً، فكل من كان الرسول صلى الله عليه وسلم مولاه فعلي مولاه ولا شك، فالذي لا يتولى الرسول صلى الله عليه وسلم لا يكون ولياً لعلي رضي الله عنه، ولم يكن المراد من الحديث من كنت مولاه أي أميراً عليه فعلي مولاه أي أميراً عليه؛ لأن معناه لا يوحي بهذا.

وأما استدلالهم بحديث: ((أقضاكم علي)) فالجواب: أنه على فرض صحته ليس فيه نص على الخلافة لعلي، فإن معرفة الإنسان بشيء لا يلزم أن يكون هو المتولي له، فلا يلزم من معرفة الشخص للقضاء أن يكون هو الحاكم أو الخليفة للمسلمين، وهذا من جنس وصف الرسول صلى الله عليه وسلم لأحد الصحابة بما يتميز به كقوله "أفرضكم زيد" وقوله: "أعلمكم بالحلال والحرام معاذ" وقوله: "أقرؤكم أبي".

وهكذا كان من عادة النبي صلى الله عليه وسلم أن يبرز الثناء بما يتميز به أصحابه، ولو أراد بالقضاء الخلافة من بعده لما خشي أحداً ولأظهر ذلك في صريح العبارة.

وأما استدلالهم بحديث: ((أنت مني بمنزلة هارون من موسى)) فالجواب أن هذا الحديث ليس فيه نص على إمامة علي رضي الله عنه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما أن هارون لم يكن هو خليفة موسى فقد مات قبله.

وسبب الحديث يوضح مراد النبي صلى الله عليه وسلم وذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم حينما أراد أن يتوجه إلى تبوك ترك علياً في المدينة للنظر في أمور المسلمين، فقال بعض المنافقين في المدينة: إنما خلف علياً لأنه يستثقله ولا يحبه، فلما علم علي بذلك أخذ سيفه ولحق بالرسول وهو نازل بالجرف، وأخبره بقول المنافقين. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى))، فبين له أن استخلافه على المدينة لم يكن لاستثقاله كما زعم أولئك، وإنما كان استخلافه كاستخلاف موسى لهارون حينما ذهب موسى لميقات ربه، ولم يستخلف موسى هارون بغضاً له أو استثقلاً، كما أن الحنان الذي كان بين موسى وهارون يوجد مثله بين الرسول صلى الله عليه وسلم وعلي رضي الله عنه، وهذا بعيد عن الخلافة والولاية، وإنما هو من الرسول صلى الله عليه وسلم كهارون من موسى في الوصية له ووجوب احترامه ومعرفة فضله.

وأما استدلالهم بأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يؤمر على أبي بكر وعمر غيرهما من الصحابة، ولم يؤمر على علي أحداً. فجوابه:

١- أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد ولى أبا بكر أموراً كثيرة لم يشركه فيها أحد، مثل ولاية الحج والصلاة بالناس، وغير ذلك.

٢- أن النبي صلى الله عليه وسلم قد ولى من هو بإجماع أهل السنة والشيعة من كان عنده دون أبي بكر مثل عمرو بن العاص، والوليد بن عقبة، وخالد بن الوليد، وهذا يدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يترك ولاية أبي بكر في بعض الأمور لكونه ناقصاً عن هؤلاء.

وقد ولى الرسول صلى الله عليه وسلم ابن أم مكتوم على المدينة كما ولى غيره في بعض أمره فلم ينفرد علي رضي الله عنه بالولاية.

ربما ترك الرسول صلى الله عليه وسلم ولايته في بعض الأمور لأن بقاءه عنده أنفع له منه في تلك الولاية، وحاجته إليه في المقام عنده وغناه عن المسلمين أعظم من حاجته إليه في الولاية.

وأما إرساله -صلى الله عليه وسلم- لعلي بسورة براءة فلم يكن ذلك لرد أبي بكر عن ولاية الحج، ولكن أردفه لينبذ إلى المشركين عهدهم، وقد كانت عادتهم ألا يعقد العقود ولا يحلها إلا المطاع المسؤول العام، أو رجل من أهل بيته فقط، وعلي له هذه القرابة.

وأيضاً كان علي يصلي خلف أبي بكر كسائر أهل الحج. ومن قال: إن الرسول صلى الله عليه وسلم أرسل علياً لرد أبي بكر عن إمارة الحج فقد كذب باتفاق أهل العلم، فإن المهمة التي كلف بها علي إنما هي تنفيذ أمر الرسول صلى الله عليه وسلم في إخبار المشركين بنبذ العهد الذي بينهم وبين المسلمين كما أمر الله تعالى

ثانياً: دعواهم عصمة الأئمة والأوصياء: يعتقد الرافضة في أئمتهم العصمة من كل الذنوب والخطايا، الصغائر والكبائر، وأنها لا تقع منهم لا خطأ ولا نسياناً منذ طفولتهم إلى نهاية حياتهم .

و سبب ذلك: هو أنهم اعتقدوا أن العصمة شرط من شروط الإمامة ، ثم رفعوا أئمتهم وغلوا فيهم غلواً فاحشاً إلى أن اعتبروهم أفضل من الأنبياء، لأنهم نواب أفضل الأنبياء، ثم زادوا فادعوا لهم أنهم يعلمون الغيب، وأن جزءاً إلهياً حل فيهم وإذا كان الأمر كذلك فالعصمة أمر طبيعي أن توجد فيهم.

إضافة إلى ذلك قالوا: إن تنصيب الإمام إنما شرع من أجل جواز الخطأ على غير الأئمة، فلو جاز الخطأ على الإمام وهو الهادي إلى الحق لاحتجنا إلى هادٍ آخر، وهذا الهادي يمكن أن يلحقه الخطأ فيحتاج إلى هادٍ آخر، وهكذا فيلزم التسلسل فقطعاً للتسلسل ينبغي أن يكون كل إمام من أولئك معصوماً في وقته - حسب زعمهم - حتى يؤمن على حفظ الشريعة. كذلك من الأسباب أيضاً في استنادهم في القول بعصمتهم إلى ما يزعمونه من النصوص عن أئمتهم، فقد نقل الكليني - فيما يكذب الشيعة على آل البيت - أن جعفر الصادق قال: ((نحن خزان علم الله، ونحن تراجمه أمر الله، نحن قوم

معصومون، أمر الله بطاعتنا ونهى عن معصيتنا.. نحن حجة الله البالغة على من دون السماء وفوق الأرض))

إبطال ما ادعته الشيعة من عصمة أئمتهم:

١- أما اعتقادهم خوف وقوع الخطأ من الإمام لو لم يكن معصوماً، فإنه من المعلوم عند الناس أن المقصود من تنصيب الإمام هو تنفيذ الأحكام ودرء المفسد، وحفظ الأمن والنظر في مصالح العامة وغير ذلك، وليس من شرط بقائه في الحكم أن يكون معصوماً.

٢- أن الشرع لم يطالب الإمام بإصابة عين الحق حتماً في كل قضية، وإنما المطلوب منه أن يتحرى العدل بقدر الإمكان.

٣- أننا لو افترضنا صحة دعواهم وكذلك من أنه لا بد من إمام معصوم للناس، فإنه لا يكفي إمام واحد فإن البلدان متباعدة، ووجود إمام واحد في كل عصر لا يكفي للجميع، فوجب إذاً أن يكون في كل بلد إمام معصوم يباشر الحكم بنفسه وإلا هلك الناس، ولا يجوز له أن ينيب أحداً مكانه لجواز الخطأ عليه، وفي هذا من العنت ما لا خفاء فيه.

٤- أن ليس لديهم أي دليل من القرآن أو السنة النبوية أو الإجماع على عصمة الأئمة

٥- أن الأنبياء عليهم السلام وهم أفضل خلق الله، ليس أحد منهم معصوماً عن السهو والخطأ والنسيان، بل عصمتهم عن كبائر الذنوب، وفيما يبلغونه من وحي الله تعالى.

ثالثاً: تدبيرهم بالتقية: التقية في اللغة يراد بها الحذر. يقال توقّيت الشيء أي حذرته.

والتقية في مفهوم الشيعة معناها أن يظهر الشخص خلاف ما يبطن، أي أن معناها النفاق والكذب والمراوغة والبراعة في خداع الناس، لا التقية التي أباحها الله للمضطّر المكره وليبان منزلة التقية عند الشيعة نورد الأمثلة التالية:

١- التقية أساس الدين، من لا يقول بها فلا دين له: في الكافي عن أبي جعفر: ((التقية من ديني ودين آبائي، ولا إيمان لمن لا تقية له)).

٢- أن التقية عز للدين، ونشره ذل له. كما روى الكليني عن سليمان بن خالد قال: قال أبو عبد الله: ((يا سليمان، إنكم على دين من كتبه أعزه الله، ومن أذاعه أذله الله))

٣- أن ترك التقية مثل ترك الصلاة تماماً. قال القمي: ((التقية واجبة، من تركها كان بمنزلة من ترك الصلاة)) ٤- أن التقية قائمة إلى أن يخرج القائم من آل محمد (المهدي المنتظر)، قال القمي: ((التقية واجبة لا يجوز رفعها إلى أن يخرج القائم، فمن تركها قبل خروجه فقد خرج على دين الله تعالى، وعن دين الإمامية، وخالف الله ورسوله والأئمة))

٥- حرفوا معاني الآيات إلى ما يوافق أهواءهم، وكذبوا على آل البيت، قال القمي: ((وقد سئل الصادق عليه والسلام

عن قول الله عز وجل: { إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ } قال: أعلمكم بالتقية)).

٦- أن ترك التقية من الذنوب التي لا يغفرها الله كالشرك، فرووا عن علي بن الحسين الإمام الرابع أنه قال: ((يغفر الله للمؤمن كل ذنب ويطهره منه في الدنيا والآخرة ما خلا ذنبين، ترك التقية، وترك حقوق الإخوان))

أسباب قول الشيعة بالتقية: اختلفت كلمة الشيعة في الأسباب الحاملة لهم على التمسك بالتقية واعتبارها أساساً في الدين، وفيما يلي نوجز أهم ما قيل فيها:

١- قالت طائفة: إن التقية تجب للحفاظ على النفس أو العرض أو المال أو الإخوان.

٢- وقالت طائفة: إن التقية تجب لأنها فضيلة، والفضائل يجب التحلي بها

٣- والحق أنهم أوجبوا التقية لظروف أحاطت بهم، ورأوا أن لا خلاص لهم إلا بالاتكاء على دعوى التقية.

ومن ذلك:

أ- أنهم وقفوا على أقوال متضاربة عن الأئمة المعصومين عندهم يختلفون في الشيء الواحد، وتتناقض فيه أقوالهم دون أن يجدوا مبرراً لذلك التناقض؛ فخرجوا من ذلك بدعوى أن ذلك الكلام صدر من الأئمة على سبيل التقية.

ب- ومنها ما وجدوه من كلام الأئمة في مدح الصحابة الذين تبرأ منهم الشيعة ويعتبرونهم كفاراً، فزعموا أن ذلك المدح إنما كان تقية.

الرد عليهم: الراضية يحتجون لهذه العقيدة الفاسدة بقوله تعالى: { لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين

ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة } ولا حجة لهم في هذه الآية ولا غيرها من النصوص ، لأن التقية الواردة في الآية هي: كتم ما لا يستطيع أن يظهره المسلم من دينه عند الكفار، دون إظهار دينهم وموافقتهم فيه، والراضية يظهرون من عقائد مخالفيهم غير ما يعتقدون.

فالتقية رخصة من الله في حال الضرورة إن خاف المسلم على نفسه من الكفار، وعلى هذا أجمع أهل العلم قال ابن المنذر: "أجمعوا على أن من أكره على الكفر حتى خشى على نفسه القتل فكفر وقلبه مطمئن بالإيمان أنه لا يحكم عليه بالكفر"

رابعاً: المهدي عند الراضية: يزعم الراضية أن المهدي في سرداب بسامراء، وأن فيه دابة ترابط دائماً على بابه ليركبها

إذا خرج من سردابه، ويقف جماعة ينادون عليه بالخروج يا مولانا اخرج، يا مولانا اخرج، ويشهرون السلاح، وفي أثناء مرابطتهم لا يصلون خشية أن يخرج وهم في الصلاة فينشغلون بها عن خروجه وخدمته، بل يجمعون الخمسة الفروض،

وليس هذا فقط عند السرداب، بل أحياناً يكونون في أماكن بعيدة عن مشهده ويفعلون هذا إما في العشر الأواخر من شهر رمضان، وإما في غير ذلك يتوجهون إلى المشرق وينادونه بأصوات عالية، يطلبون خروجه مع أنه لا مهدي هناك. وإنما هي خرافة نفذ منها ومن غيرها أعداء الإسلام إلى الطعن في الإسلام وتجهيل حامله، وإلا فما الداعي لمثل رفع هذه الأصوات وهذه المرابطة المضنية؟

والرافضة اضطرب كلامهم حول مهديهم وتناقضت فيه أقوالهم، والصحيح عند أكثر العلماء - أنه شخصية خيالية لا وجود له إلا في أذهان الرافضة الذين يزعمون إمامته وينتظرون خروجه بعد غيبته الكبرى، ومن تلك التناقضات التي وقع فيها الرافضة :

١ - اختلاف الشيعة في وجود محمد بن الحسن وولادته. فقد اختلفت كلمتهم في وجود هذا الشخص، فبعضهم

ذهب إلى أن الحسن العسكري مات ولم يعرف له ولد أصلاً، وقال هؤلاء بأن الحسن العسكري حين توفي ظن بعضهم أن بجارته حملاً فوكلوا بها من يراقبها حتى تبين أن لا حمل بها.

واستدلوا أيضاً بأن الحسن العسكري حينما مات أخذ أخوه جعفر تركته، ولو كان للحسن ولد لما حصل على ذلك.

٢- وذهب آخرون إلى إثبات ولادة محمد بن الحسن، بل وحددها محمد صادق آل بحر العلوم المعلق على فرق الشيعة للنوبختي بأنها كانت يوم الجمعة منتصف شعبان على أشهر الأقوال كما زعم سنة ٢٥٥هـ، بينما الكليني في الكافي يذكر أنه ولد سنة ٢٥٦هـ، بينما هو يقرر أنه خفي الولادة والمنشأ .

وهؤلاء الذين أثبتوا ولادته تناقضت أقوالهم واضطربت أفكارهم فيه أيضاً، فبعضهم قال بأنه ولد بعد وفاة والده الحسن بشمانية أشهر، وكذبوا من زعم غير هذا كما نص عليه النوبختي.

وقال آخرون: إنه ولد قبل وفاة والده بسنين، وقال بعضهم: بخمس سنوات.

كما اختلفوا كذلك في تحديد السنة التي اختفى فيها، فبعضهم يجعلها سنة ٢٥٦هـ، وآخرون ٢٥٨هـ، وغيرهم ٢٥٥هـ.

كما اختلفوا في اسم أمه على أقوال: فقيل: اسمها نرجس، وقيل: صقيل أو صيقل، وقيل: اسمها حكيمة.

وقيل اسمها سوسن .

وأقوايل أخرى كثيرة مضطربة يطول نقلها، وهذا الاختلاف كله دليل على أن هذا الإمام لم يولد وإنما هو استحساناتهم وتخميناتهم.

وكذلك اختلف الرافضة في المكان الذي اختفى فيه مهديهم محمد بن الحسن العسكري على أقوال متضاربة توحى لأهل كل مكان ذكره بقرب المهدي منهم. ومن تلك الأقوال، وهي كثيرة: أنه مختف في سامراء، في سرداب دار أبيه، وهذا من أشهر أقوال الشيعة والمتداول بينهم، وفي كتبهم، أنه مختف في المدينة المنورة، أنه مختف بمكة المكرمة، وبعضهم قال: هو بذات طوى، وبعضهم قال: إنه في اليمن بواد يسمى شمروخ، وبعضهم قال: إنه بالطائف، وكل هذه الخلافات دليل على بطلان عقيدتهم في المهدي

خامساً: عقيدتهم في الرجعة: يعتقد الرافضة رجعة بعض الأموات بعد موتهم إلى الحياة الدنيا، وذلك في زمن خروج المهدي -المزعوم عندهم- يقول المرتضى: «اعلم أن الذي قد ذهب الشيعة الإمامية إليه أن الله تعالى يعيد عند ظهور إمام الزمان المهدي صلوات الله عليه قوماً ممن كان تقدم موته من شيعته، ليفوز بثواب نصرته ومعونته، ومشاهدة دولته، ويعيد أيضاً قوماً من أعدائه لينتقم منهم، فيلتذون بما يشاهدون من ظهور الحق، وعلو كلمة أهله». .
والرجعة عند الرافضة إنما هي لأئمتهم، ومن محض الإيمان من أوليائهم، ومن محض الكفر من أعدائهم -وهم يعنون بذلك الصحابة - رضي الله عنهم - والقصد من ذلك هو إظهار العز والنصر للأئمة ومواليهم، والانتقام من أعدائهم

الرد عليهم :

١- أن فكرة الرجعة إلى الدنيا بعد الموت مخالفة لنص القرآن، وباطلة بدلالة آيات عديدة من كتاب الله سبحانه، قال تعالى: { قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً } لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ } ، .
فقوله سبحانه: { وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ } صريح في نفي الرجعة مطلقاً
٢- أن الحسن بن علي رضي الله عنه أبطل هذه العقيدة ، فقد روى الإمام أحمد في مسنده أن عاصم بن ضمره (وكان من أصحاب علي رضي الله عنه) قال للحسن بن علي: إن الشيعة يزعمون أن علياً يرجع. قال الحسن: كذب أولئك الكذابون، لو علمنا ذلك ما تزوج نساؤه، ولا قسمنا ميراثه.

سادساً: موقفهم من القرآن: أجمع المسلمون على سلامة القرآن الكريم من التحريف أو التغيير ، أو الزيادة أو النقصان ، وكفروا من زعم خلاف ذلك ، وذلك لأن الله تكفل بحفظه كما قال تعالى { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } وقال عبد القاهر البغدادي : (واتفقوا على أن أصول أحكام الشريعة القرآن والسنة وإجماع السلف ، وأكفروا من زعم من الرافضة أن لا حجة اليوم في القرآن والسنة ، لدعواه فيها أن الصحابة غيروا بعض القرآن ، وحرفوا بعضه)

ولم يتجرأ أحد على القول بزيادة القرآن أو نقصانه إلا الرافضة ، حيث زعموا أن القرآن الكريم الموجود اليوم بين دفتي المصحف: محرف ومبدل. وأن هذا المصحف لا يمثل إلا جزءاً يسيراً من القرآن المنزل على النبي - صلى الله عليه وسلم -، وأن الذي حرّف القرآن هم الصحابة وذلك بحذف فضائهم الواردة في القرآن وفضائل علي - رضي الله عنه - وآل البيت التي جاءت منصوصاً عليها في القرآن الكريم.

جاء في كتاب بصائر الدرجات للصفار بسنده عن أبي جعفر أنه قال: «ما يستطيع أحد أن يدعى أنه جمع القرآن كله ظاهره وباطنه غير الأوصياء»، وعنه أيضاً: «ما من أحد من الناس يقول إنه جمع القرآن كله كما أنزل الله إلا كذاب، وما جمعه وما حفظه كما أنزل إلا علي بن أبي طالب والأئمة من بعده» وفي تفسير العياشي عن أبي عبد الله: «لو قرئ القرآن كما أنزل لألفيتنا فيه مسمين» .

وجاء في الكافي بيان مقدار ما أسقط من القرآن - بزعمهم - فعن أبي عبد الله: «إن القرآن الذي جاء به جبريل - عليه السلام - إلى محمد - صلى الله عليه وسلم - سبعة عشر ألف آية» .

وهذا يعني أن ثلثي القرآن قد أُسقط، حيث إن عدد آيات القرآن الموجود الآن لا يتجاوز (٦٢٣٦) آية.

سابعاً: عقدهم في الصحابة: يقف الرافضة من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - موقف العداوة والبغضاء، والحق والضعيفة، يبرز ذلك من خلال مطاعنهم الكبيرة على الصحابة، التي تزخر بها كتبهم القديمة والحديثة، فمن ذلك كفرهم وردتهم إلا نفرأ يسيراً منهم، على ماجاء مصرحاً به في بعض الروايات الواردة في أصح كتبهم، وأوثقها عندهم، فقد روى الكليني عن أبي جعفر أنه قال: «كان الناس أهل ردة بعد النبي - صلى الله عليه وسلم - إلا ثلاثة. فقلت: ومن الثلاثة؟ فقال: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، رحمة الله وبركاته عليهم،»

الرد عليهم :

١- أن الله أثنى عليهم ونص على عدالتهم والرضا عنهم في آيات كثيرة جليلة واضحة، فمن ذلك قوله: {وَالسَّابِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْقَوْزُ الْعَظِيمُ} وقوله: {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا} . وكان عددهم أكثر من ألف وأربعمائة، بايعوه لما صدده المشركون عن العمرة

٢- وأما الأدلة من السنة على عدالتهم فكثيرة جداً، فمن ذلك: قوله صلى الله عليه وسلم: "لا تسبوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي، فو الذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه" متفق عليه .

وقوله عليه الصلاة والسلام: "خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم"، قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة" رواه مسلم

ثامناً: قولهم بالبداء على الله: البداء: معناه الظهور بعد الخفاء، كما في قوله تعالى: ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ أي ظهر.

ومعناه أيضاً: حدوث رأي جديد لم يكن من قبل، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا آيَاتِ لَيْسَ حُنْنُهُ حَتَّى حِينَ﴾ .

والبداء بمعنييه المتقدمين غير جائز على الله تعالى؛ لأنه يستلزم الجهل بالعواقب، وحدوث العلم. والله تعالى منزه عن ذلك.

والرافضة يجيزون إطلاق البداء على الله تعالى، بل لهم في ذلك مبالغات عظيمة تفوق حد الوصف، حتى أصبحت هذه العقيدة الفاسدة من أقوى العقائد عندهم جاء في الكافي الذي يعد من أصح الأصول عندهم تحت باب "البداء" من كتاب التوحيد عن زرارة بن أعين عن بعض الأئمة: «ما عبد الله بشيء مثل البداء». وفيه عن أبي عبد الله: «ما عظم الله بمثل البداء». وعنه أيضاً: «لو علم الناس ما في القول بالبداء من الأجر ما فتروا عن الكلام فيه» .

وأما سبب قولهم بالبداء فهو أن الاثني عشرية أشاعوا بين أتباعهم أن أئمتهم يعلمون الغيب، ولا يخفى عليهم الشيء؛ فيدعون أن الأئمة يقولون سيحدث كذا وكذا؛ فإن وقع الشيء على وفق ما قالوه _ قالوا: ألم نعلمكم أن هذا يكون؛ فنحن نعلم من قبل الله _ عز وجل _ ما علمته الأنبياء، وبيننا وبين الله _ عز وجل _ مثل تلك الأسباب التي علمت بها الأنبياء عن الله ما علمت. وإن وقع الشيء على خلاف ما قالوه _ قالوا لشيعتهم: بدا لله في ذلك فلم يُكُونَهُ.

الرد عليهم: أن إطلاق البداء على الله عز وجل، من أعظم الكفر، وهو يناقض ما أخبر الله به عن نفسه بأنه عالم بكل شيء، وأن علمه لم يسبقه جهل، ولا يلحقه نسيان، : (قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى)، وقال تعالى : ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾

مصادر الرافضة: عمدة الرافضة أربعة كتب عليها مدار العمل عندهم في جميع الأعصار وهي:

الأول: الكافي في الأصول والفروع . لمحمد بن يعقوب الكليني (المتوفى سنة: ٣٢٩ أو ٣٢٨)

الثاني: من لا يحضره الفقيه . لشيخهم المشهور عندهم بالصدوق محمد بن بابويه القمي (المتوفى سنة ٣٨١هـ) .

الثالث: تهذيب الأحكام. لشيخهم المعروف بـ"شيخ الطائفة" أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (المتوفى سنة ٣٦٠هـ)

الرابع: الاستبصار فيما اختلف من الأخبار. للطوسي السابق ذكره، وهو مجرد اختصار لكتاب التهذيب السالف الذكر ومع ذلك جعلوه أحد أصولهم.

هذه هي أصولهم الأربعة المعتمدة حتى اليوم باتفاقهم .

قال شيخهم الفيض الكاشاني (المتوفى سنة ١٠٩١هـ) : "إن مدار الأحكام الشرعية اليوم على هذه الأصول الأربعة، وهي المشهود عليها بالصحة من مؤلفيها"

وقد ألحقوا بها أربعة كتب متأخرة هي :

الأول: الوافي . لشيخهم محمد بن مرتضى المعروف بملا محسن الفيض الكاشاني (المتوفى سنة ١٠٩١هـ) ، وقد جمع في

هذا الكتاب ما في الكتب الأربعة المتقدمة ، ويقع في ثلاثة مجلدات كبار ، وطبع في إيران

الثاني: بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار . لشيخهم محمد باقر المجلسي (المتوفى سنة ١١١٠ أو ١١١١هـ)،

وقد جمع هذا الكتاب من الكفر فأوفى ، وطبع في ٢٥ مجلدا ثم طبع أخيراً في ١١٠ مجلدا .

الثالث: وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة. تأليف شيخهم محمد بن الحسن الحر العاملي (المتوفى سنة ١١٠٤هـ)،

وهو مؤلف كتاب فصل الخطاب في تحريف كتاب الأرباب .

الرابع: مستدرک الوسائل . لحسين النوري الطبرسي (المتوفى سنة ١٣٢٠هـ)

وهناك كتب كثيرة عندهم قالوا: إنها في الاعتبار والاحتجاج كالكتب الأربعة، كما ذكر ذلك المجلسي في مقدمة بحاره .

والحر العاملي في الوسائل ، وكما نجد ذلك في مقدمات تلك الكتب. ويبدو أن تخصيص ما سلف بالذكر، إما لأنها

مجاميع كبيرة، أو قد يكون مجرد محاكاة أهل السنة وللدعاية المذهبية، ومما يوضح ذلك أنهم اعتبروا مثلاً من المجاميع الثمانية

المتقدمة كتاب الوافي، وعدوه أصلاً مستقلاً، مع أنه عبارة عن جمع لأحاديث الكتب الأربعة المتقدمة (الكافي والتهذيب

والاستبصار ومن لا يحضره الفقيه) فكيف يعد أصلاً خامساً، ومستقلاً، وهو تكرار لأحاديث الكتب الأربعة؟!

وكذلك اعتبروا "الاستبصار" للطوسي مصدراً مستقلاً من المصادر الأربعة المتقدمة، وهو لا يعدو أن يكون اختصاراً لكتاب

تهذيب الأحكام لطوسي، كما صرح بذلك الطوسي في مقدمة الاستبصار ، وكما يبدو واضحاً لمن شاء المقارنة بين

الكتابين، فالدعاية المذهبية واضحة في صنيعهم هذا

والملاحظ أن روايات الشيعة في كتبها كلها منسوبة إلى الأئمة الاثني عشر، ومعظمها مروى عن جعفر الصادق، وقليل

منها (بل نادرٌ ولا يكاد يوجد إلا بكلفة) مروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل أشار شيخهم الحر العاملي إلى

أنهم يتجنبون رواية ما يرفع إلى النبي خشية أن يكون من روايات أهل السنة إذن هذه الطائفة "لا تعتنى بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعرفة صحيحه من سقيمه والبحث عن معانيه، ولا تعتنى بأثار الصحابة والتابعين حتى تعرف مأخذهم ومسالكهم وترد ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول" .

بل عمدتها ما تزعم روايته عن بعض أهل البيت وليس كل أهل البيت، وليس ما ينقلونه هي أقوال أئمة أهل البيت ، بل هي مفتريات زنادقة القرون البائدة على أهل البيت، ويكفي في الحكم على أحاديثهم؛ النظر في متونها "وكل متن يباين المعقول، أو يخالف المنقول، أو يناقض الأصول فاعلم أنه موضوع" .

وقد جمعت هذه المتون من مظاهر الشرك بالله عز وجل والقول بتحريف القرآن ، والانحراف في تأويله ، ودعوى تنزل كتب إلهية على أئمتهم ، وتكفير الصحابة ما يقطع معه بأنها من وضع زنديق حاقد على الإسلام وأهله .

فرق الرافضة الإمامية :

لقد تفرقت الرافضة الإمامية إلى أقسام كثيرة لم يتفق العلماء على عددها، ولا على اعتبار من هم الأصول ومن هم الفروع منهم. ولا حاجة إلى التطويل بذكر جميع تلك الفرق الأصول والفروع؛ إذ الكل يجمعهم معتقد واحد حول الإمامة وأحقية علي بها، وأولاده من بعده، ورفض من عداهم، ويختلفون في بعض مسائل الاعتقاد كالمهدي والرجعة وغيرها وأشهر فرقهم: الخمدية، والاثنا عشرية ، وهذا بعض التفصيل حولها :

١- المحمدية: يعتقدون أن الإمام والمهدي المنتظر هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي، ويعرف بالنفس الزكية.

ولد محمد سنة ٩٣ هـ ، ويوصف بأنه كان فاضلاً صاحب عبادة وورع، ولذا أطلق عليه لقب النفس الزكية، خرج بالمدينة المنورة سنة ١٤٥ هـ على أبي جعفر المنصور الخليفة العباسي، وكان المغيرة بن سعيد العجلي يدعو الناس إلى البيعة لمحمد، وجدّ في ذلك، وزعم للناس أن المهدي المنتظر قد خرج، وأنه محمد بن عبد الله بن الحسن ، وبشر الناس بأن ملكه سيامتد طويلاً ويعيد الأمور إلى نصابها ويملاً الأرض عدلاً، فأرسل إليه المنصور جيشاً بقيادة عيسى بن موسى الهاشمي، فقتل محمد بن عبد الله بن الحسن في تلك المعركة، ولما قتل انقسم أتباعه إلى طائفتين: طائفة تبرأت من المغيرة وقالوا: لا يجوز لنا متابعتة بعد أن ظهر كذبه، فإن محمد بن عبد الله ابن الحسن مات مقتولاً ولم يملك ولا يملأ الأرض عدلاً، ولو كان هو المهدي لتكفل الله بظهوره.

والطائفة الأخرى استمرت على الولاء للمغيرة ولمحمد بن عبد الله بن الحسن، وقالت: إن محمداً لم يقتل، وإنما المقتول كان شيطاناً تصور للناس في صورة محمد بن عبد الله بن الحسن، وأن محمداً لا يزال حياً في جبل حاجر بنجد، ولا بد أن يظهر

مرة أخرى، وبملا الأرض عدلاً، وأن البيعة ستعقد له بين الركن والمقام في بيت الله الحرام بمكة.

٢- الاثنا عشرية: تعتبر هذه الطائفة أشهر فرق الشيعة، وأكثرها انتشاراً في العالم، وإليها ينتمي أكثر الشيعة في إيران

والعراق وباكستان وغيرها من البلدان التي وصلت إليها العقيدة الشيعية.

أ- أسماؤهم وسبب تلك التسميات:

١- الاثنا عشرية: لاعترافهم وقولهم بإمامة اثني عشر رجلاً من آل البيت، ثبتت إمامتهم -حسب زعمهم- بنص من النبي صلى الله عليه وسلم، وكل واحد منهم يوصي بها لمن يليه.

وأولهم: علي -رضي الله عنه- وآخرهم محمد بن الحسن العسكري المزعوم الذي اختفى في حدود سنة ٢٦٠هـ، وسيعود بزعمهم وبملا الأرض عدلاً كما ملئت جوراً

٢- الجعفرية: نسبة إلى جعفر بن محمد الصادق الذي بنوا مذهبهم في الفروع على أقواله وآرائه -كما يزعمون- وهو بريء من أكاذيب الشيعة هذه، فإنهم يسندون إليه أقوالاً واعتقادات لا يقول بها من له أدنى بصيرة في الإسلام

٣- الرافضة: وقد سبق ذكر سبب تسميتهم به .

٤- الإمامية: سموا بذلك نسبة إلى الإمامة لأنها أكد أصولهم، أو لزعمهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم نص على إمامة علي وأولاده، أو لانتظارهم إمام آخر الزمان الغائب المنتظر -كما يزعمون-.

ب- أهم الأماكن التي انتشر فيها هذا المذهب:

١- إيران: وهو المذهب الرسمي للدولة، وقد أعلن الخميني في دستورهم أن دين الدولة يقوم على المذهب الجعفري.

٢- العراق.

٣- الهند.

٤- باكستان.

وفي هذه البلدان أعداد منهم، ولهم تواجد في بعض المناطق في سوريا ولبنان ودول الخليج، وكثير من البلدان الإسلامية مستغلين غفلة أهل السنة.

ح- فرق الاثني عشرية وانقسامها: انقسمت الشيعة الاثنا عشرية إلى فرق كثيرة ، من أهمها وأشدها خطراً وأكثرها

نفوذاً وشوكة وتأثيراً في المجتمع الشيعي، ومن أشدها نشاطاً في دعوى ظهور المهدي: الشيخية والرشدية

١- الشيخية: وقد يقال لهم الأحمدية ، وهي طائفة تنتسب إلى رجل يقال له الشيخ أحمد بن زين الدين الإحسائي البحراني، المولود سنة ١١٦٦هـ، والمتوفى سنة ١٢٤٣هـ، وهو شيخ ضال ملحد، له كثير من الآراء الكفرية، عاش في مدن الشيعة الهامة، مثل كربلاء وطوس وغيرهما من البلدان، ونشر أفكاره ومعتقداته الضالة، وكون له أتباعاً كان لهم أثر في قيام حركات أخرى كالبايية والبهائية.

أهم معتقداته:

أ- زعم أن الله -تعالى عن قوله- تجلى في علي وفي أولاده الأحد عشر، وأنهم مظاهر الله وأصحاب الصفات الإلهية ، وهي عقيدة حلولية مستمدة من عقائد البراهمة وغلاة الصوفية.

ب- أرجع وجود هذا الكون وما فيه إلى وجود الأئمة، وأنهم هم العلة المؤثرة في وجوده إذ لولاهم ما خلق الله شيئاً.

ج- زعم في محمد بن الحسن العسكري المهدي المزعوم عند الشيعة مزاعم غريبة، منها أن المهدي المذكور يتجلى ويظهر في كل مكان في صورة رجل يكون هو المؤمن الكامل، أو الباب إلى المهدي، وتحل فيه روح المهدي، ثم ادعى لنفسه وجود هذه الصفة فيه، وضلل كثيراً ممن سار على شاكلته إلى أن هلك.

٢- الرشدية: بعد هلاك الشيخ أحمد الإحسائي قام بأمر الشيخية أحد تلامذته ، ويسمى كاظم الحسن الرشتي سنة ١٢٤٢هـ... ونهج نفس المنهج والطريق التي عليها سلفه في كثير من المسائل، وخالفه في أخرى، حيث ادعى أن المهدي روح الأبواب حل فيه ، ولكنه زعم أنه آخر إنسان يحل فيه حتى يظهر المهدي ومن هنا بدأ يلتمس ظهور المهدي، وهو في الحقيقة إنما بحث عن صيد فوجده، حيث وقع اختياره على شخصية من تلاميذه ليجعل منه المهدي المنتظر بعد أن لمس أن هذه الدعوى يمكن أن تجد لها أتباعاً. وقد نشر الرشتي مذهبه الفاسد حتى صارت له أماكن كثيرة وأتباع كثيرون من شيعة إيران وعربستان وأذربيجان والكويت، وانتشرت أفكاره أيضاً في الهند وباكستان، وافتتحت فيهما مراكز كثيرة، وتأتيهم المساعدات من تلك الأماكن التي وصل انتشار الشيخية إليها.

وهناك فرقة أخرى هي محل نظر في إلحاقها بالشيعة الاثني عشرية أو الصوفية، وتسمى النور بخشية نسبة إلى رجل يسمى محمد نور بخش القوهستاني المولود سنة ٧٩٥ هـ

علاقة الرافضة بالفرق الباطنية الأخرى : الرافضة لهم موقفان من فرق الباطنية من خلالهما تتبين العلاقة:

الموقف الأول : التصريح بتكفير الباطنية عموماً ولعنها وسبها: قال المجلسي : (أقوال الباطنية والملاحدة التي اتخذوا دين الله هزوا ولعبا، رفضوا أحكام الله ، وتعبدوا حدودها ، فضلوا وأضلوا كثيراً من الناس . وكانوا من بدء ظهور الإسلام قوماً يحرفون

الكلم عن مواضعه ؛ يتبعون ما تشابه من كلام الله وكلام رسوله والأئمة عليهم السلام ، حبا للرئاسة ، وتفريق كلمة المسلمين ، أعادنا الله من الزيغ والضلالة، وكان طائفة منهم ؛يسمون الخطابية، يدينون بأمثال هذه الضلالات ، يخرجون الناس عن الطريق السوي) وقال البياضي في حق الشيعة الإسماعيلية: (إنهم خارجون عن الملة الحنيفية بالاعتقادات الرديئة، وذلك أنهم قالوا: كل ظاهر فله باطن، وأن الله بتوسط كلمة كن أوجد عالمي الخلق والأمر، فجعلوه محتاجاً في فعله إلى الوساطة والآلة)

وقال محمد الحسيني الشيرازي : (وأما سائر أقسام الشيعة غير الاثني عشرية، فقد دلت نصوص كثيرة على كفرهم، ككثير من الأخبار ، الدالة على أن من جحد إماماً كان كمن قال: إن الله ثالث ثلاثة)

الموقف الثاني: التقارب المعاصر بين المذهب الاثني عشرية والمذهب الباطني: تجاهل الفكر الاثني عشري

المعاصر الموقف الذي كان يكتنف المتقدمين تجاه المذهب الباطني، فحين انتهج المتقدمون الإقصاء والتبرؤ والتكفير للمذهب الباطني ؛ يرى الناظر أن المذهب المعاصر امتزج بالفكر الباطني واختلط بعظمه ودمه ، فاحتوى كثيرا من آراء الفكر الباطني ، فتغيرت تلك المواقف ، بل وانقلبت رأسا على عقب، فعدت المخالفة موافقة ، والسخط والإنكار رضا وقبولاً، والتكفير والتبديع إلى أخوة ومحبة ، فتجدرت الصلة بعد أن كانت النفرة والتكفير السائد .

والملاحظ في العصر الحاضر ، ومن عنده أدنى اطلاع يجد أن المذهب الاثني عشري له صلة وثيقة بمذاهب الباطنية بجميع أطيافها ، ولعل من أسباب تلك الصلة عدة أمور منها:

*الصلة في مصادر التلقي: الرافضة المعاصرون قد اعتمدوا في التلقي على جملة من كتب الباطنية بل المتأمل في كتبهم الأربعة التي قال فيها عبد الحسين الموسوي : (وهي: الكافي والتهديب والاستبصار ومن لا يحضره الفقيه، وهي متواترة، ومضامينها مقطوع بصحتها، والكافي أقدمها وأحسنها وأتقنها) .

يجد أن أنها قد ضمنت في طياتها كثيرا من النصوص التي حاكت في كثير من ألفاظها ومعانيها ما جاء في كتب الباطنية ؛ من الإسماعيلية والنصيرية وغيرها .

وبعض المصادر الإسماعيلية والنصيرية قد أصبحت عمدة عند المعاصرين من الاثني عشرية ،؛مثل كتاب دعائم الإسلام للقاضي النعمان بن محمد بن منصور، المتوفى سنة (٣٦٣هـ) وهو إسماعيلي - كما تؤكد ذلك بعض مصادر الاثني عشرية نفسها- ومثل كتاب الهداية الكبرى للخصيبي وهو نصيري كما هو معلوم بتصريحهم أنفسهم .

*ومن مواطن الصلة اتفاق الطائفتين على التلقي عن المعصومين من آل البيت بزعمهم ؛ إذ اعتقاد عصمة الأئمة من آل البيت من أبرز معالم الطائفتين .

*ومن مواطن الصلة بين الاثني عشرية وفرق الباطنية وهو فرع عن الذي قبله الوفاق الكبير في كثير من الروايات المنسوبة إلى الأئمة ، ومن يطالع بعض الكتب الإسماعيلية والنصيرية يرى وفاقاً في جملة من الروايات بينهم ، ومن الأمثلة لذلك حديثهم (من لم يؤمن برجعتنا فليس منا)

*ومنها أن شيوخ الشيعة المعاصرين وآياتها إذا تحدثوا عن طائفتهم ورجالها ودولها نسبوا لها كل الفرق والدول والرجال المنتسبين للشيعة، وإن كانوا من الإسماعيلية والباطنية، أو من الزنادقة الدهرية، أو من المجسمة الغلاة. فهم إذا تحدثوا - مثلاً - عن دول الشيعة ذكروا الدولة الفاطمية في صدر دولهم مع أنها غير اثني عشرية

*ومنها تصريح بعض مفكري الشيعة في العصر الحاضر بأن الفكر الاثني عشري قد استوعب آراء وعقائد فرق الشيعة القديمة، حيث قال: (ولكن يجب أن نشير قبل أن نضع القلم بأن ما مر بنا من أفكار الشيعة ، مما كان خاصاً بفرقة بعينها لم يلبث أن دخل كله في التشيع الاثني عشري ، ودعم بالحجج العقلية وبالنصوص. والتشيع الحالي إنما هو زبدة الحركات الشيعية كلها من عمار إلى حجر بن عدي إلى المختار وكيسان إلى محمد بن الحنفية وأبي هاشم إلى بيان ابن سمعان، والغلاة الكوفيين إلى الغلاة من أنصار عبد الله بن الحارث إلى الزيديين والإسماعيليين، ثم الإمامية التي صارت اثنا عشرية، وقام بعملية المزج متكلمو الشيعة ومصنوفها)

*ومن مواطن الصلة والتقارب أن الاتجاه الباطني واضح في كتب الاثني عشرية من خلال تأويلهم لآيات القرآن ، وأركان الإسلام ، وما قالوه في التقية والكتمان. فأصبحت الاثنا عشرية هي المصب الأخير لكل الروافد الشيعية بكل ما فيها من شطحات، ويجد كل صاحب غلو وتطرف بغيته ، وما يؤيد مذهبه في كتب هذه الطائفة.

مشابهة الرافضة لليهود والمجوس: مذهب الرافضة له مشابهة تامة ومناسبة عامة مع اليهود والمجوس.

أما مشابھتهم لليهود: فسبب أن عقائد الرافضة بنيت على الأصول التي وضعها لهم عبد الله بن سبأ ، قال الكشي وهو أحد كبار علماء الرافضة : "ذكر أهل العلم أن عبد الله بن سبأ كان يهودياً فأسلم ووالى علياً، وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون وصي موسى بالغللو، فقال في إسلامه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في علي - رضي الله عنه - مثل ذلك، وكان أول من شهد بالقول بفرض إمامة علي وأظهر البراءة من أعدائه، وكاشف مخالفه وأكفرهم، فمن ها هنا قال من خالف الشيعة: أصل التشيع والرفض مأخوذ من اليهودية"

والأمور التي شابه بها الرافضة اليهود عديدة فمن ذلك: أن اليهود قالوا لا تصلح الإمامة إلا لرجل من آل داود عليه

السلام، وقالت الرافضة: لا تصلح الإمامة إلا لرجل من ولد علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - . وقالت اليهود: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المسيح الدجال وينزل بسيف من السماء، وقالت الرافضة: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المهدي وينادي مناد من السماء. واليهود تؤخر صلاة المغرب حتى تشبك النجوم، وكذلك الرافضة يؤخرونها. واليهود تنود في الصلاة، وكذلك الرافضة. واليهود لا ترى على النساء عدة، وكذلك الرافضة. واليهود حرفوا التوراة، وكذلك الرافضة حرفوا القرآن. واليهود يبغضون جبريل - عليه السلام - ويقولون هو عدونا من الملائكة، وكذلك صنف من الرافضة يقولون: غلط جبريل - عليه السلام - بالوحي إلى محمد - صلى الله عليه وسلم -، وإنما بعث علي، واليهود لا يخلصون السلام على المؤمنين إنما يقولون: السام عليكم، والسام الموت، وكذلك الرافضة . ، واليهود لا يرون المسح على الخفين، وكذلك الرافضة. واليهود يستحلون أموال الناس كلهم، وكذلك الرافضة.

وأما مشابهة الرافضة للمجوس فمن خلال ما يلي :

الأول : اعتاد الفرس أن ينظروا إلى الملك نظرة فيها معنى التقديس، ويرون ملوكهم أحفاداً منحدرين من أصلاب الآلهة، وأن الدم الذي يجري في عروقهم دم مقدس، فنقلوا هذا الاعتقاد الوثني إلى علي رضي الله عنه وذريته، كما أنهم يدينون بالملك والوراثة في البيت المالک، وأن الملك خاص بسلالة الملوك الساسانيين، فلا يعرفون معنى الانتخاب للخليفة، وكثير منهم دخلوا في الإسلام ولم يتجردوا من كل عقائدهم السابقة التي توارثوها أجيالاً، فصبغوا آراءهم القديمة بصبغة إسلامية، فاعتقدوا في علي رضي الله عنه وأبنائه اعتقادهم في آبائهم الأولين من الملوك الساسانيين، وقالوا: قد انتقل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى، ولم يترك ولداً، فأولى الناس بعده ابن عمه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فمن أخذ الخلافة كأبي بكر وعمر وعثمان، فقد اغتصب الخلافة من مستحقها

الثاني: حينما فتح المسلمون بلاد الفرس تزوج الحسين بن علي رضي الله عنه ابنة يزيدجرد أحد ملوك إيران، بعدما جاءت مع الأسرى فولدت له علي بن الحسين، وقد رأى الفرس في أولادها من الحسين وارثين لملوكهم الأقدمين، ورأوا أن الدم الذي يجري في عرق علي بن الحسين وفي أولاده دم فارسي من قبل أمه ابنة يزيدجرد والذي من هو من سلالة الملوك الساسانيين المقدسين عندهم ، أضف إلى ذلك أن اسم فاطمة - فيما يقال - اسم مقدس عند الفرس، لأن لها مقاماً محموداً في تاريخ الفرس القديم

الثالث: ومما يثبت الأثر الفارسي شيوع الروايات والأخبار التي تقدس كل ما هو فارسي في مصادر الإثني عشرية، ومن ذلك روايات عديدة عند الإثني عشرية تفرد سلمان الفارسي - رضي الله عنه وبرأه الله مما يفترون - بخصائص وصفات فوق مرتبة البشر، حيث جاء في أخبارهم: «أن سلمان باب الله في الأرض، من عرفه كان مؤمناً، ومن أنكره كان كافراً»

الرابع: مما يؤكد الأثر الفارسي تعظيمهم وتقديسهم لبعض العناصر الفارسية التي شاركت في التآمر والكيد ضد دولة الخلافة الراشدة، وهو أبو لؤلؤة الفارسي الجوسي قاتل الخليفة العظيم عمر بن الخطاب، فقد أطلق عليه عندهم «بابا شجاع الدين»، وصنعوا له قبة في إيران تقديس وتعظيم ويطاف بها، واعتبروا يوم مقتل عمر - رضي الله عنه - بيد هذا الجوسي عيداً من أعيادهم، وقد ساق شيخهم الجزائري روايات لهم في ذلك

الخامس: تقديسهم لمناسبات الفرس وأعيادها، فهم يعظمون يوم النيروز، كفعل الجوس، وقد اعترفت أخبارهم بأن يوم النيروز من أعياد الفرس، ويخصونه بجملة من الشعائر والعبادات، حتى قد عقد شيخهم العاملي باباً بعنوان: «باب استحباب صوم يوم النيروز والغسل فيه، ولبس أنظف الثياب والطيب»

دعوة التقريب بين الرافضة وأهل السنة وبيان خطورتها .

التقريب بين الرافضة وأهل السنة غير ممكن لأنهما مذهبان متناقضان وطائفتان مختلفتان ومذهبهما ضدان لا يجتمعان، يقول الشيخ ابن باز رحمه الله: (التقريب بين الرافضة وبين أهل السنة غير ممكن؛ لأن العقيدة مختلفة، فعقيدة أهل السنة والجماعة توحيد الله وإخلاص العبادة لله سبحانه وتعالى، وأنه لا يدعى معه أحد لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، وأن الله سبحانه وتعالى هو الذي يعلم الغيب، ومن عقيدة أهل السنة محبة الصحابة - رضي الله عنهم - جميعاً والترضي عنهم والإيمان بأنهم أفضل خلق الله بعد الأنبياء وأن أفضلهم أبو بكر الصديق، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي - رضي الله عن الجميع -، والرافضة خلاف ذلك فلا يمكن الجمع بينهما، كما أنه لا يمكن الجمع بين اليهود والنصارى والوثنيين وأهل السنة، فكذلك لا يمكن التقريب بين الرافضة وبين أهل السنة لاختلاف العقيدة التي أوضحناها).

والرافضة هم أول من دعا إلى التقريب بين الرافضة وأهل السنة وهدفهم من ذلك:

- ١- إعطاء ما هم عليه من الكفر والضلال والإلحاد صفة الشرعية، واسم الإسلام.
 - ٢- أن يسكت أهل السنة عنهم حتى يتمكنوا من نشر الرفض بكل وسيلة تحت شعار التقريب.
 - ٣- نشر كتبهم ورسائلهم في بلاد السنة، وإقامة الندوات والمراكز الخاصة بهم .
- وقد سببت دعوة التقريب خسارة كبرى لأهل السنة، وضرراً كبيراً لا يتصوره إلا من وقف على عدد القبائل التي ترقّضت بجملتها، فضلاً عن الأفراد، حتى تحولت العراق - مثلاً - بسبب هذه الدعوة من أكثرية سنّية إلى أكثرية شيعية، وشيوخ الروافض يخططون لنشر الرفض بكل وسيلة تحت شعار التقريب، وبعد العراق بدأوا في مصر وغيرها من بلاد العالم الإسلامي، واشتروا الأقلام وغروا ضعاف النفوس والإيمان وخدعوا أصحاب الغفلة والجهل، وجعلوا منهم أبواق دعاية للرفض والروافض.

وبسبب دعوة التقريب سكت أهل السنة . أو جلهم . عن بيان باطل الروافض وإيضاح الحق .

وباسم هذه الدعوة وجدت كتب الرافضة ونشراهم ورسائلهم مكاناً لها في بلاد السنّة .

وأصبح رجال الرفض يتحركون وسط بلاد السنّة بيسر وسهولة وينشرون كتبهم ويقومون ندواتهم ويفتحون مراكز لهم مما أدى إلى اضرار كبيرة ومفاسد عظيمة على أهل السنة والجماعة .

خطورة المد الشيوعي على العالم الإسلامي وأساليبهم في ذلك ، وسبل المواجهة:

استبانة سبيل المجرمين ، وفضح خططهم ، منهج قرآني : (وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين) ، ومن الاستبانة التي ذكرها ربنا جل وعلا فضح وكشف خطر المد الشيوعي في البلاد الإسلامية لأنه المذهب الشيوعي الرافضي نشر دينه في كل الدول الإسلامية وغير الإسلامية عن طريق التعليم والجمعيات بل وصل الأمر في نشر الدين الرافضي عن طريق التهديد والترجيع للبلاد التي يتمكن فيها .

إن عداة الرافضة لأهل السنة على مر التاريخ لا ينسى بل هو من صلب ديانتهم الحقد والبغض لأهل السنة والجماعة خاصة وللإسلام عامة، لأنه دين الجحوس .

والسكوت عن هذا الأمر ، وهو بيان خطر التمدد الشيوعي ، خيانة الله ورسوله وللمسلمين .

لقد بدأت الفكرة الخبيثة في نشر الدين الرافضي على يد الهالك الخميني الذي أعلن تصدير ما يسمى بالثورة الإسلامية في الدول الإسلامية خاصة وفي غيرها عامة، فاستخدموا فكرة نشر الدين الرافضي بالسلاح وباللسان وكان العون لهم على هذا كله كل ملل الكفر من اليهود والنصارى والمنظمات الدولية الحاقدة على الإسلام .

ومن أهم الوسائل لنشرهم الدين الرافضي هو بناء القبور والقباب عليها والاستغاثة بأهلها خاصة ما يسمى بقبور آل البيت ، وأخذ النذور والأموال التي توضع فيها .

وكذا من وسائلهم نشر الدعاة إلى الدول الإسلامية من أجل نشر دينهم الكفري .

وكذا من وسائلهم دعوة التقريب بين أهل السنة والرافضة .

وكذا من وسائلهم قضية القدس ، وجعلوا لها يوماً عالمياً في آخر جمعة من رمضان ، وهم في أصل دينهم لا يعترفون بالقدس ولا بقضيبتها ، لأن القدس عندهم ليس في الأرض وإنما في السماء كما ذكر ذلك المحققون منهم ، أورد " المجلسي " في كتابه بحار الأنوار : " عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سألته عن المساجد التي لها الفضل فقال : المسجد الحرام ،

ومسجد الرسول ، قلت : والمسجد الأقصى جعلت فداك قال : ذاك في السماء ، إليه أسري برسول الله (ص) -

فقلت : إن الناس يقولون إنه بيت المقدس فقال : " مسجد الكوفة أفضل منه !!

إن الدين الرافضي من أخطر الأديان ضد المسلمين فلا يوجد مسجد واحد في عاصمة الرفض إيران لأهل السنة أبداً ، هدموا مساجد ودور القرآن لأهل السنة في العراق وسوريا ولبنان واليمن ، لا يعترفون بالتقريب بين أهل السنة والرافضة في بلادهم ولا يفتحون المكاتب التي تدعوا لذلك ولا يرضون أبداً بذلك ، وإنما يفتحونها في البلاد الإسلامية ويحشون عليها خداعاً لأهل السنة ، ولو كانت السلطة لهم فإنهم يخيرون أهل السنة إما القتل أو تغيير دينهم ، وأسألوا المناطق التي استولوا عليها من أهل السنة ماذا فعلوا بهم قتل وتشريد ونهب وغصب للأعراض وغير ذلك من جرائمهم ، واليوتيوب شاهد عليهم بما فعلوه ووثقوه فيه .

يقول الوزير الإيراني : " لولا إيران لما احتلت أمريكا العراق ، ولولا إيران ما احتلت أمريكا أفغانستان " .
إن الهدف الأسمى لهم هو مكة والمدينة ، قال أحد زنادقتهم : صاحب كتاب " الإسلام على ضوء التشيع " : " إن كل شيعي على وجه الأرض يتمنى فتح وتحرير مكة والمدينة ، وإزالة الحكم الوهابي النجس عنها " ويقول الرئيس الإيراني السابق رفسنجاني : " إن جمهورية إيران الإسلامية لديها الاستعداد للحرب من أجل تحرير مكة " .
والواجب على جميع المسلمين كل على حسب موقعه التصدي لهذا الدين الرافضي بالعلم الشرعي وبنشره للمسلمين وتوعية المسلمين بخطرهم و بإنشاء المدارس والجامعات من أجل التصدي لهم ، كذلك استغلال وسائل التواصل الاجتماعي بالتحذير من هذا الخطر العظيم ، وإنشاء القنوات الفضائية ، وطبع الكتب الإسلامية المخدرة منهم ، كمنهاج السنة الشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، وكذا النشرات والكتيبات المختصرة المفيدة في التصدي لهم ، مثل : بطلان عقائد الشيعة ، لمحمد عبدالستار التونسي ، ومن عقائد الشيعة العبدالله السلفي ، ومن أفضل الكتب المعاصرة لمن يريد إفحام الرافضة كتاب أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية - عرض ونقد - للدكتور ناصر بن عبد الله بن علي القفاري .

لابد من ترجمة هذه الكتب لجميع اللغات من أجل الحفاظ على أهل السنة ، استغلال أيضاً المساجد والمحاضرات والندوات في فضحهم وبيان خطرهم على الإسلام والمسلمين .
وبكلمة مختصرة " لا يمكن أن يجتمع الإسلام في أصوله وفروعه مع الدين الرافضي أبداً ، حتى يلج الحمل في سم الخياط " هذا دين الله تعالى فهل لك نصيب تدخره يوم القيامة في الدفاع عنه)

تعريف الزيدية : هم أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وسموا بالزيدية نسبة إليه .

نشأة الزيدية : كانت نشأة الزيدية سنة ١٢١ أو ١٢٢ هـ ، وذلك أن زيد بن علي -رحمه الله - لما أراد أخذ البيعة من أهل الكوفة ، أمرهم بالخروج والتأهب له ، فلما علمت الشيعة ذلك اجتمعوا عند زيد بن علي فقالوا له : ما قولك يرحمك

الله ، في أبي بكر ، وعمر ؟ فقال : غفر الله لهما ، ما سمعت أحدا من أهل بيتي يتبرأ منها ، وأنا لا أقول فيها إلا خيرا ، فرفضوه وانصرفوا عنه ، ونقضوا بيعته وتركوه ، فلهدا سموا الراضة من يومئذ ، ومن تابعه من الناس على قوله سموا الزيدية " ، ثم قتل زيد في المعركة التي وقعت بينه وبين الأمويين ثم قام بعده ابنه يحيى بن زيد، ومضى إلى خراسان، واجتمعت عليه جماعة كثيرة. وقد وصل إليه الخبر من الصادق جعفر بن محمد بأنه يقتل كما قتل أبوه، ويصلب كما صلب أبوه، فجرى عليه الأمر كما أخبر.

وقد فوض الأمر بعده إلى محمد وإبراهيم الإمامين، وخرجا بالمدينة، ومضى إبراهيم إلى البصرة، واجتمع الناس عليهما، وقتلا أيضا.

ولم ينتظم أمر الزيدية بعد ذلك حتى ظهر بخراسان صاحبهم ناصر الأطروش فطلب مكانه ليقتل فاختفى واعتزل الأمر، وصار إلى بلاد الديلم والجل ولم يتحلوا بدين الإسلام بعد، فدعا الناس دعوة إلى الإسلام على مذهب زيد بن علي، فدانوا بذلك ونشأوا عليه، وبقيت الزيدية في تلك البلاد ظاهرين.

وكان يخرج واحد بعد واحد من الأئمة ويلى أمرهم.

كما استطاعت الزيدية أيضا إقامة دولة لهم في أرض اليمن في القرن الثالث ، أقامها المهدي إلى الحق يحيى بن الحسين واستمرت دولتهم بين مد وجزر وظهور وكمون إلى عام (١٣٨٢) والزيدية تفرقوا إلى عدة فرق ، أهمها : الجارودية، والسليمانية أو الجريرية، والبترية أو الصالحية.

فرق الزيدية: الجارودية، والسليمانية أو الجريرية، والبترية أو الصالحية.

١- الجارودية: هم أتباع أبي الجارود زياد بن المنذر العبدي، مات عام ١٥٠ هـ ، ومن مقالته: إن النبي، صلى الله عليه وسلم، نص على إمامة عليّ بالوصف دون الاسم، وإن الصحابة كفروا بتكهم بيعة علي، وبذلك خالف إمامه زيد بن علي

٢- السليمانية أو الجريرية : وهم أتباع سليمان بن جرير الزيدي الذي ظهر أيام أبي جعفر المنصور، ومن مقالته: إن الإمامة شورى، وإنها تنعقد ولو برجلين من خيار الأمة، وإنها تنعقد للمفضول مع وجود الفاضل. إلا أنهم كفروا عثمان للأحداث التي نسبت إليه، وكفروا عائشة، وطلحة، والزبير لإقدامهم على قتال علي بن أبي طالب، وطعنوا في الراضة من أجل قولهم بالبداء وبالتقية.

٣-البترية والصالحية: أما البترية، فأتباع كثير النوى الملقب بالأبتر مات سنة ١٦٩ هـ تقريبًا. وأما الصالحية، فأصحاب

الحسن بن صالح بن حي الكوفي الهمداني مات عام ١٦٧ هـ ومذهبهما في الإمامة مثل مذهب السليمانية، إلا أنهم يتوقفون في كفر عثمان لتعارض نصوص فضائله، والأحداث التي نسبت إليه، ويتوقفون كذلك في إكفار قتلته.

انتشار الزيدية وأماكن وجودهم : قامت دولة للزيدية أسسها الحسن بن زيد سنة ٢٥٠ هـ في أرض الديلم وطبرستان ، كما أن الهادي إلى الحق أقام دولة ثانية لهم في اليمن في القرن الثالث الهجري .
انتشرت الزيدية في سواحل بلاد الخزر وبلاد الديلم وطبرستان وجيلان شرقاً ، وامتدت إلى الحجاز ومصر غرباً وتركزت في أرض اليمن .

تأثر الزيدية بالمعتزلة ، والاثني عشرية: الزيدية تميزت في أول ظهورها بمسألة الإمامة، وأنهم يرونها كما تراها الشيعة الاثني عشرية في علي بن أبي طالب ثم الحسن ثم الحسين بن علي، ثم يختلفون عن الاثني عشرية بأن الإمامة تثبت لكل من قام ودعا الخلق إلى طاعة الله تعالى، وكان من ولد الحسن أو الحسين وهو جامع لخصال العدل والعلم، فلهذا قالوا: بإمامة زيد بن علي بعد الحسين ولم يعدوا أباه زين العابدين ولا أخاه محمد الباقر ولا ابن أخيه جعفر الصادق من أئمتهم، لأنهم لم يخرجوا ولم يدعوا لأنفسهم.

هذا ما تميز به الزيدية من الأقوال، وأما بقية أقوالهم في مسائل الاعتقاد فإنها مبنية على مذهب المعتزلة. وعلاقة الزيدية بالمعتزلة ذكر أنها قديمة من أيام زيد بن علي، فقد ذكر الشهرستاني في الملل والنحل أن زيد بن علي أخذ الاعتزال عن واصل بن عطاء الغزال رأس المعتزلة.

وهذا لم ينقل عن زيد بن علي بسند يطمأن إليه، كما أن الشهرستاني ذكر أن محمد الباقر اعترض على أخيه زيد في أخذه عن واصل لأن واصل يرى أن علياً أخطأ في قتاله أهل الجمل وصفين وأن كلا الفريقين على خطأ.

وهذا وإن لم ينقل بسند صحيح فإن فيه دلالة على مانع صحيح يمنع زيدا من الأخذ عن واصل، والله أعلم.

ويظهر بعد هذا الالتقاء بين الزيدية والمعتزلة حيث ذكر الأشعري في مقالاته (١٥٤/١) خروج إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - في البصرة سنة خمس وأربعين ومائة أيام المنصور قال: وشخص عن البصرة في المعتزلة وغيرهم من الزيدية يريد محاربة المنصور ومعه عيسى بن زيد بن علي، فبعث إليه أبو جعفر بعيسى ابن موسى وسعد بن سلم فحاربهما إبراهيم حتى قتل، وقتلت المعتزلة بين يديه. فهذا يدل على الالتقاء بين الزيدية والمعتزلة، ولعل ما يقرب بينهما هو الخروج وذلك أن الزيدية يرون أنهم أحق بالإمامة، والمعتزلة يرون الخروج على الأئمة إذا جاروا.

ثم يظهر الالتقاء واضحاً أكثر مع القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب المتوفى عام (٢٤٠)، وذلك أنه أخذ الفقه عن علماء المذهب الحنفي، وأخذ عن شيوخ المعتزلة في وقته في الأصول، وله مؤلفات منها العدل والتوحيد (الصغير) والعدل والتوحيد (الكبير)، الأساس في علم الكلام وغير ذلك من الكتب. ثم جاء بعد القاسم حفيده يحيى بن الحسين الملقب بالهادي، الذي استولى على اليمن وهو معتزلي كتب في الاعتزال كتباً كثيرة ٢ فصار بعده الزيدية معتزلة لا يختلفون عن المعتزلة إلا في الإمامة.

قال الشهرستاني: (أما في الأصول فيرون رأي المعتزلة حَذْوَ الْفُؤْدَةِ بِالْفُؤْدَةِ، ويعظمون أئمة المعتزلة)

وأما تأثير الزيدية بالاثني عشرية: ففي الإمامة كما سبق ذكره، وأيضاً في الطعن في الصحابة فالجارودية يكفرون الصحابة كلهم لأنهم تركوا بيعه علي رضي الله عنه، والسليمانية يكفرون بعض الصحابة، وهذا خلاف ما كان عليه زيد بن علي فقد كان يترضى عن الشيخين أبي بكر وعمر ويرى صحة خلافتهما.

أصول ومعتقدات الزيدية :

- ١- يُجيزون الإمامة في كل أولاد فاطمة، سواء أكانوا من نسل الإمام الحسن أم من نسل الإمام الحسين. رضي الله عنهما.
- ٢- الإمامة لديهم ليست بالنص، إذ لا يشترط فيها أن ينص الإمام السابق على الإمام اللاحق، بمعنى أنها ليست وراثية بل تقوم على البيعة، فمن كان من أولاد فاطمة وفيه شروط الإمامة كان أهلاً لها.
- ٣- تقول الزيدية بالإمام المفضل مع وجود الأفضل إذ لا يُشترط أن يكون الإمام أفضل الناس جميعاً بل من الممكن أن يكون هناك للمسلمين إمام على جانب من الفضل مع وجود من هو أفضل منه على أن يرجع إليه في الأحكام ويحكم بحكمه في القضايا التي يدلي برأيه فيها.
- ٤- معظم الزيدية المعاصرين يُقرُّون خلافة أبي بكر وعمر، ولا يلعنونهما كما تفعل فرق الشيعة، بل يترضون عنهما، إلا أن الرفض بدأ يغزوهم - بواسطة الدعم الإيراني -، ويحاول جعلهم غلاة مثله.
- ٥- يوافقون المعتزلة في القول بالأصول الخمسة وهي:

- ١- التوحيد: ويقصدون به نفي الصفات عن الله فيقولون: إن الله تعالى قديم، والقدم أخص وصف بذاته، وأنه تعالى عالم بذاته، قادر بذاته، حي بذاته؛ لا يحتاج إلى معان توجب الصفات؛ ونفوا رؤية الله يوم القيامة
- ٢- العدل: يقصدون به نفي أن يكون الله خالق لأفعال العباد، فيقولون: إن الله تعالى عدل حكيم لا يفعل القبيح وأفعاله كلها حسنة، وإن أفعال العباد حسنها وقبيحها منهم لا من الله تعالى.

- ٣- الوعد والوعيد: يتضمن هذا الأصل عند الزيدية، وجوب صدق الله تعالى في وعده وووعيده، وأن يُدخل الجنة أهل الجنة و يُدخل النار أهل النار، وأنه من مات مصراً على فسقه فإنه يُخلد في النار أبد الآبدين.
- ٤- المنزلة بين المنزلتين: وهي أن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين فهو ليس بكافر وليس بمؤمن ، وهذا الأصل استبدل مؤخراً في زمن الهادي بأصل الإمامة وهو ما سارت عليه الزيدية من بعده
- ٥-الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب عند القدرة عليه، ما لم يكن الأمر أو النهي يؤديان إلى فعل منكر غير الذي نُهي عنه، أو ترك معروف غير الذي أُمر به.
- ويهدف الزيدية من هذا الأصل إلى تجويز الخروج على الأئمة الظلمة، كما فعل الحسين بن علي مع يزيد بن معاوية ، وكما فعل زيد بن علي مع هشام بن عبد الملك ، يقول أبو الحسن الأشعري: (والزيدية بأجمعها ترى السيف على أئمة الجور، وإزالة الظلم، وإقامة الحق).

مصادر الزيدية:

- ١- مسند زيد بن علي ، زيد بن علي
- ٢-الإحكام ، الإمام يحيى بن الحسين
- ٣- التاج الذهب الأحكام المذهب ، أحمد بن يحيى بن المرتضى
٤. البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار ، أحمد بن قاسم العنسي الصنعاني .
- ٥-شرح الأزهار ، الإمام أحمد المرتضي

الحوثيون:

تعريفهم : الحوثيون فرقة جارودية الأصل تأثرت بالاثني عشرية ، ودانت بالولاء لنظام الولي الفقيه ، وسميت بهذا الاسم ؛ نسبة إلى قائدها الأول ومؤسسها حسين بن بدر الدين الحوثي .

نشأتهم : بدأت الحوثية كحركة ثقافية في الظاهر ، ولقبوا أنفسهم بـ (الشباب المؤمن) ، واهتمت بتربية الشباب وفق المذهب الرافضي ، ثم ما لبثت أن تحولت إلى تنظيم عسكري مسلح ، ابتداء من عام ٢٠٠٤ م ، وصار اسمهم الأشهر هو (الحوثية) ، ثم تحولت إلى حركة سياسية تسير على خطى الثورة الإيرانية ، فكان مما يتم تدريسه في اتحاد الشباب في الثمانينات مادة عن الثورة الإيرانية ومبادئها ، وافتتن قادة الحوثية بأعلام الاثني عشرية كالحسيني ونصر الله ، مما جعل البعض يحكم بتحول هؤلاء الحوثية من المذهب الزيدي الجارودي إلى المذهب الاثني عشري ، لا سيما بعد أن ظهرت لهم العديد من المخالفات للمذهب الزيدي ، وصدور عدد من البيانات من علماء الزيدية تعلن التبري من قادة الحوثية في

حينه ، بالإضافة إلى انتشار عدد كبير من المؤلفات الاثني عشرية في مدارس الحوئية وتدريسها للطلاب الزيديين .
كما يجاهر حسين الحوئي في محاضراته بعمالته لإيران ، وذلك عبر ثنائه وإشاداته بالخميني ونخلته ، ومن ذلك قوله عن
الخميني : « رجل مؤمن ، تقوي ، رجل مجاهد ، شجاع ، يعرف كيف يضع الخطط الحكيمة ، ينطلق انطلاقة قرآنية » .
وقال أيضا : « ذلك الرجل العظيم الذي استطاع بإيمانه وشجاعته وقوة نفسه أن يكون على هذا النحو الذي خلق فعلا
تجديدا في العالم ، وخلق صحوة إسلامية ، وأرعب أعداء الله ، وعمل على إعادة الثقة لدى المسلمين بدينهم » ، وقال :
« احتج الله على العرب وعلى المسلمين بإيران وبالخميني ، واحتج على الشعوب كشعوب ، على الناس كطوائف مجزب
الله » (.

وترجع جذورها إلى فرقة الجارودية المنتسبة إلى الزيدية ، وقد جمعت في عصرنا بين أصلها الجارودي الرافضي وضلالات
الاثني عشرية والقول بولاية الفقيه الخمينية ، وقد استطاع الحوئيون في عام ١٤٣٥ / ٢٠١٤ م بدعم من الرئيس السابق
علي عبد الله صالح أن يستولوا على عدد من محافظات اليمن بما في ذلك العاصمة اليمنية صنعاء ، والاستيلاء على
السلطة بالقوة بعد الانقلاب على الرئيس المنتخب.

علاقتهم بالاثني عشرية : الحوئيون يدينون بالولاء التام والمطلق لنظام الولي الفقيه في طهران وترى في الثورة الخمينية

نبراساً ومنهجاً يجب أن يحتذى، هذا هو الأصل الأصيل لدى المؤسسين للحركة الحوئية في بداياتها إلى اليوم، كما أن
سلوكهم مسلك التربية والتعليم وفق تعاليم المذهب الرافضي والاثني عشري . ثم تحويل هؤلاء الاتباع والمريدين إلى ميليشيات
مسلحة تنشر الموت والفرع والدمار كشأن سائر فرق الباطنية كلما تمكنت من الظهور والعلو في الأرض بغير حق.

ومما يؤكد علاقتهم بالاثني عشرية أن حركة "اتحاد الشباب" التي أسسها بدر الدين الحوئي وآخرين، تدرس ضمن مناهجها
الدارسية مقرراً باسم "الثورة الخمينية" يمجّد الخميني ويضعه في مصاف الأئمة الكبار، ويتبنى نظريته إلى الإسلام والآخرين .
فالحوئيون تبنا ثورة الخميني وعقائده فأصبحت عقائدهم مثل عقائد الاثني عشرية لا فرق بينهم في ذلك ، ومن أبرز تلك
العقائد التي اتفقوا فيها مع الاثني عشرية :

١ - زعمهم النص على خلافة علي رضي الله عنه . بعد الرسول صلى الله عليه وسلم مع الطعن في

خلافة الثالثة قبله ، يقول حسين الحوئي: "نحن متأكدون أن الإمام علياً أقصي، أزيح، أبعاد، عن المقام الذي اختصه به
رسول صلى الله عليه وسلم وحل محله أبو بكر ثم عمر ثم عثمان"

٢ - الطعن في صحابة رسول صلى الله عليه وسلم والتصريح بتكفيرهم تارة، والتعريض بذلك تقيّة . تارة أخرى، يقول
بدر الدين الحوئي .: "أنا عن نفسي أو من بتكفيرهم . أي الصحابة رضوان الله عليهم . كونهم خالفوا رسول صلى الله عليه

وسلم "

٣- الطعن في عرض الصديقة بنت الصديق . رضي الله عنها وعن أبيها، وهذا من أعظم منكرات هذه الطائفة وشاهد قوي على ترفضها وانتظامها في سلك الفرق الباطنية، فالحوثية وزعيمهم حسين بدر الدين

الحوثي يعمدون في مناسبات لهم بإحضار كلبة سوداء ويدفنونها إلى منتصفها ثم يقول لأتباعه: "ارموا عائشة التي لم يقم عليها الحد"

٤- القول بأن القرآن الكريم الذي بين أيدينا اليوم تعرض لمحاولات التحريف والتغيير على أيدي الصحابة. يقول حسين الحوثي : " « لولا أنه محفوظ من قبل الله لكانت فيه سور أخرى ؛ واحدة لمعاوية ، وواحدة لعائشة ، وواحدة لأبي بكر ،

وواحدة لعمر ، وواحدة لعثمان ، لكن الله سبحانه وتعالى حفظه . من أجل من حفظه ؟ حتى ممن رأوا النبي صلى الله عليه وسلم ، من أجل أن يصل إلينا نظيفاً وسليماً . أعتقد أنه حفظه حتى ممن كانوا في زمن الرسول عليه وسلم ؛ لأنهم بعد موته كانوا يشكلون خطورة عليه كثير ، منهم معاوية ، ألم يعاصر النبي ؟ أليس صحابياً ؟ عمرو بن العاص ، أليس صحابياً ؟ المغيرة بن شعبه وعائشة أليسوا صحابة ؟ ، لكن لا يوجد مجال وإلا كان معاوية يخلق لك عشرين مصحفاً ، يجعل لبني أمية سورة ، وفي أهل البيت من سورة تكون لعنا وسيا "

٥- الإيمان بعقيدة "الرجعة" والدعوة إلى ذلك، وهذا ما قام به الأب الروحي للحوثية بدر الدين الحوثي في كتابه "الزيدية في اليمن".

٦- الإيمان بفكرة "الولي الفقيه" الخمينية وهي التي قامت عليها الثورة لإيرانية، وهي تعني حكم الفقيه نيابة عن الإمام المهدي، فهذه الجماعة تدين بالولاء التام والمطلق لنظام الولي الفقيه في طهران وترى في الثورة الخمينية نبزاً ومنهجاً يجب أن يحتذى.

٧- إحياء بدع الرافضة : من البدع الرافضية التي عمل الحوثية على إحيائها ما يلي :

أ- الاحتفال بعيد الغدير : وهو قديم في بلاد الزيدية يعود إلى عام ١٠٧٣ هـ ، إلا أن طريقة الاحتفال بعيد الغدير في زمن الحوثية قد اختلفت عن طريقة الاحتفال التي كانت موجودة من قبل ، فقد أظهر المحتفون بالغدير مزيداً من الغلو في هذا اليوم ، وأظهروا فيه أموراً ما كانت تعرف لدى الزيدية من قبل ؛ كالتعريض بالصحابة ، وإثارة الأحقاد والضغائن ضد أهل السنة .

ب - إقامة العزاء بمناسبة عاشوراء : وهذه لم توجد في بلاد اليمن إلا منذ العهد القريب بسبب الحوثيين

خطر الحوثيين : الحوثيون يرون في الثورة الخمينية نبزاً ومنهجاً يجب أن يحتذى به، لذا أرادوا تطبيق هذه الثورة في

اليمن، فقاموا بالثورة بدعم من الرئيس السابق علي عبد الله صالح فاستطاعوا أن يستولوا على عدد من محافظات اليمن بما في ذلك العاصمة اليمنية صنعاء ، والاستيلاء على السلطة بالقوة بعد الانقلاب على الرئيس المنتخب. وقد ترتب على ثورتهم هذه مفاصد عظيمة من قتل أهل السنة وتشريدهم ، واستحلال أموالهم وأعراضهم، ونشر المذهب الرافضي .

وثورة الحوثيين ليس المقصود بها فقط الاستيلاء على اليمن وإنما لهم مخططات أخرى تصبو إليها دولة إيران وهي أذية أهل الإسلام في السعودية والاستيلاء على الحرمين لنشر اعتقاداتهم الكفرية ، ومن هنا تكمن خطورة الحوثيين